COPYRIGHTED

القُطعان تتوَحَّم

يعقوب بين الهرويَين

د/ ريمون جوزيف

REMON

COPYRIGHTED

تأليف د. ريمون جوزيف

E-mail:dr.remo.jo@gmail.com

Facebook: Remoon Joseph

الناشر : سباركل للنشر والتوزيع

الطبعة العربية الثانية : ٢٠٢٢

رقم الإيداع: ٢٠٢٢/٤٧٧٥

إنتاج فني وطباعة : شركة سباركل لفصل الألوان والطباعة

٤ شارع المقريزي، روكسي ٠١٢٨٢١١٧٨١٢

جميع الحقوق محفوظة للمؤلف، لا يسمح بإعادة إصدار هذا الكتاب، أو أي جزء منه، أو تخزينه في نطاق استعادة المعلومات أو نقلها، أو استنساخه بأي شكل من الأشكال، دون إذن خطي مُسبق من الناشر

COPYRIGHTED

الفهرس

مقدمة الكاتب ٥

الجزء الأول: الطَّريق الذي ذَهَبتَ فيه..... ٧

الجزء الثاني: القُضبان المُقشَّرة على مَساقي المياه ٢١

الجزء الثالث: أنا إله بيت إيل حيث مَسَحت عمودًا ٣٥

الجزء الرابع: خَلْع حُقّ الفَخذ، وخَلْع الإنسان العتيق..... ٥١

الجزء الخامس: وكانت يدُ الرَّب على إيليَّا، فشَدَّ حَقوَيه ٦١

الجزء السادس: إله يعقوب أم بئر يعقوب؟..... ٧١

الجزء السابع: وأمَّا الطَّير فلَم يشُقَّهُ..... ٨٣

الجزء الثامن: (سارة نفسها أخذت قدرة على إنشاء نسل)..... ٩٧

الجزء التاسع: صفر كبير ١٠٣

COPYRIGHTED

REMOON

COPYRIGHTED

مقدمة الكاتب

عزيزى القارىء يسعدنى ان اشاركك فى هذا الكتاب بمجموعة من المقالات، كل منها يحوى فكرة مستقلة بذاتها، ولكنها فى ذات الوقت تحكى مجتمعة بالتسلسل عشرين سنه من حياة يعقوب، تحكى رحلة تيهانه منذ ان هرب من عيسو وحتى عاد مره أخرى الى بيت إيل

بين سطور هذا الكتاب سترى الانسان فى عناده وغباؤه وجهله وضلاله، وسترى العالم فى تغيره وشره وقسوته وكذبه وخداعه، وسترى الله فى ثباته وأمانته ومحبته وحكمته وصلاحه، فيه سترى مذلة الانهزام والانكسار فى الحرب مع الجسد والعالم، والطريق للنصره عليهما

COPYRIGHTED

فيه أيضاً ظلالاً مكتوبة بالحبر السرى وصوراً مرسومة بإبداع الروح القدس لكثير من الحقائق الصريحه المذكوره فى العهد الجديد، ستجد ظلالاً مبهره لحقيقة تجسد المسيح، وصلبه، وآلامه الكفاريه، ستجد ظلالاً لقيامة المسيح، ستجد ظلالاً للعهد الجديد، ظلالاً للموت مع المسيح وخلع الانسان العتيق، ظلالاً لحقيقة الميلاد الثانى، ظلالاً لرحلة الكنيسه لبيت الآب، ظلالاً للكنيسه فى قوتها وفى ضعفها، ظلالاً للتكريس والإنفصال عن العالم

سترى مدلول ومفهوم بعض المصطلحات والحقائق التى يحيطها بعض الغموض مثل الوحم ومدلوله، تنور الدخان ومدلوله، مصباح النار ومدلوله، زجر الجوارح، شق الطير، حالة لاهوت المسيح أثناء الموت والدفن

فيه سترى وحدة الكتاب المقدس، وحدة موضوعه، ولفظية وحيه، وستعرف أن الكتاب المقدس الذى بين أيدينا معجزة حقيقية كثيراً ما نغفلها ونهملها لهثاً وراء أشباه معجزات وهميه مزيفه هنا وهناك، ستعرف ان الحرب الثائره ضده وحوله ليس الا لكونه الحق الخالص، فالكذب لا يُحارَب

صلاتى ان يستخدم الله كلمات هذا الكتاب ليتلامس مع قلبك تلامس حقيقى ليجدك ويريحك

ريمون جوزيف

COPYRIGHTED

الجزء الأول

الطَّريق الذي ذَهَبتَ فيه (١)

رِفقَة بين الكَنيسة الأولى والأخيرة

كلمات قليلة لكن أشتَمُّ في ثَناياها رائِحةَ الحسرة والنَّدم، نطقَ بها يعقوب في (تكوين ٣٥: ٣) عندما استَفاق من غفوتِه وغفلتِه الطَّويلة التي دامَت عشرين سنة، حامِدًا الله الذي كان معه ولم يتركَه رغم ابتِعاده وانحرافه عن مشيئة الله ذاهِبًا في طريقه الخاص.

أبدأ معك عزيزي القارِئ سِلسلة جديدة، وصلاتي العميقة وأشواق قلبي الحقيقية أن يستخدمها الله لإفاقَة كل شخص مالَ

COPYRIGHTED

إلى طريقه ليستردَّه الآب ويسترجِعه إلى حِضنه من جديد، حتَّى وإن طالَ غيابه ومهما كانت درجة ميوله.

تبدأ القِصَّة في (تكوين٢٤) بعَروسٍ جميلة شابة عذراء لم يعرفها رَجُل، سَلكَت نَهجًا مُختلفًا عن عائلتها وقرَّرَت الانفصال عنهم، تاركة هذا العالَم الوَثنيِّ، مُجيبة عن سؤال أبيها وأخيها: «هل تذهبين مع هذا الرَّجُل؟» بالرَّد الرَّائع المُختصَر الواضِح: «أذهَبُ». لقد سَلكَت نَهجًا مُختلفًا عن راحيل التي سرقت أصنام أبيها لكي تحتفِظ بها. لقد خرجت رِفقة من حاران بدون الأصنام، أمَّا راحيل فقط خرجت من حاران بالأصنام. كما أنَّها سَلكَت نَهجًا مُختلفًا عن لابان الذي من شِدَّة تمسُّكه وتعلُّقه بالأصنام سَعى وراء يعقوب عندما هرب منه بحثًا عنها.

إن رِفقة هُنا ترمُز للكنيسة عروس المسيح -المَرموز له بإسحاق- التي اختارَت أن تنفصِل عن العالَم الوَثنيِّ وتخرُج منه ذاهِبة للمسيح. ولمزيد من الدِّقَّة أودُّ أن أضيف أن رِفقة في (تكوين ٢٤) ترمُز إلى الكنيسة الأولى. الكنيسة القويَّة العَفيَّة. كنيسة الأصحاحات الأولى من سفر الأعمال.

لكن في (تكوين ٢٧) نرى ذات العَروس، رِفقة ولكن ما أبعد الفارِق بين حالتِها في أصحاح ٢٧ وحالتِها في أصحاح ٢٤!! إنَّها هنا ترمُز إلى كنيسة الأيَّام الأخيرة لاودكية، التي تخَلَّت عن السُّلوك والانقياد بالرُّوح القدُس سائرة وراء الحكمة الإنسانيَّة مُستعمِلة حِيَّل الجسد وألاعيبه. ما أضعفها وهي تخَطِّط ليعقوب أن يكتسي برِداء عيسو (الجَسَد) لينال البرَكة، وكأنَّها تقول له: «خَلِّيك جَسَدي في

COPYRIGHTED

الموقِف ده علشان تِكسَب»، يا لِلأسَف. ما أضعفها وهي تُشير على يعقوب قائلة: «قُمِ اهْرُبْ إِلَى أَخِي لاَبَانَ إِلَى حَارَانَ، وَأَقِمْ عِنْدَهُ أَيَّاماً قَلِيلَةً حتَّى يَرْتَدَّ غَضَبُ أَخِيكَ عَنْكَ» (تكوين ٢٧: ٤٣). إنَّها هي بعينِها من قالت: «أذهَبُ» في يَوم قوَّتِها وحرارَة مشاعرِها وأشواقِها لرؤية إسحاق، تاركة لابان وحاران. وها هي أيضًا بعَينِها في يَوم ضَعفِها وبرودة مشاعرِها وفتورِها تُشير على ابنِها بأن (يهرب) إلى لابان في حاران ويُقيم عنده.

غريب أن يذهب يعقوب إلى لابان في حاران، لكن الأغرَب جدًا أن يحدث هذا بمَشورة ومُباركة رِفقة.

لَكِن، أليس هذا ما يحدُث في الكنيسة اليوم؟ هَدمٌ لأسوار الانفصال بدَعوى بناء الجسور بمُباركة من المنبرَ الكنسيِّ والإعلام المسيحيِّ؟ وذابَت الكنيسة وسط العالَم واختلطَت وامتزجَت به وأقامت في أحضانه كمؤسَّسة من مؤسَّساته. لقد تَرَكت الكنيسة لِلأسف الرَّب الحِصن والمَلجأ وذهبت لتحتمي بمؤسَّسات الدَّولة. لكن السُّؤال، هل حَمى لابان يعقوب من بَطشِ عيسو؟ أقول لا، بل حَمى الرَّب في أمانته يعقوب من بطش لابان وعيسو.

هل لاحظت عزيزي القارئ أسلوب العالَم وهو يستدرِج مؤمنا؟

• في (تكوين ٢٧: ٤٣، ٤٤) تقول رِفقة ليعقوب: «اهْرُبْ إِلَى أَخِي لاَبَانَ إِلَى حَارَانَ ٤٤وَأَقِمْ عِنْدَهُ أَيَّاماً قَلِيلَةً.»

• في (تكوين ٢٩: ١٤) يقول الكتاب عن يعقوب: «فَأَقَامَ عِنْدَهُ شَهْراً من الزَّمَانِ.»، أي عند لابان.

COPYRIGHTED

• في (تكوين ٢٩: ١٩) وَعَد لابان يعقوب بأن يعطيه راحيل قائلًا: «أَنْ أُعْطِيَكَ إِيَّاهَا أَحْسَنُ من أَنْ أُعْطِيَهَا لِرَجُلٍ آخَرَ. أَقِمْ عِنْدِي» مُقابل أن يخدمه سَبع سنين.

• والسَّبعة استمرَّت إلى أربعة عشر عامًا والأربعة عشر عامًا استمرَّت إلى عشرين عامًا.

لقد استدرَجه العالَم من أيَّام قليلة إلى عشرين سنة.

لكل من يقول: «بَس نَظرة واحدة، أو بس نَفَس واحِد من سيجارة». العالَم سيستدرِجك حتَّى تصِل للإدمان وتغرز بأرجُلِك في الوَحل. هذه هي طريقته، فاحذَر.

هل لاحظت كلام إبراهيم لعبده عندما أوصاه بأن يذهب ليأخُذ عَروسًا لإسحاق، قال: «احْتَرِزْ من أَنْ تَرْجِعَ بِابْنِي إِلَى هُنَاكَ.» (تكوين ٢٤: ٦)، ويقصِد بكلمة (هُناكَ) إلى حاران. وكلام رِفقة ليعقوب: «اهرب إلى حاران». إنَّها الكنيسة عندما تفقِد التَّمييز وتَسير بأفكارها بعيدًا عن أفكار الله ومشيئته.

هل لاحظت رَفْض عبد إبراهيم المُمَيِّز البقاء عشرة أيام في بيت لابان: «فَقَالَ لَهُمْ: «لاَ تُعَوِّقُونِي وَالرَّب قَدْ أَنْجَحَ طَرِيقِي. اصْرِفُونِي لأَذْهَبَ إِلَى سَيِّدِي».» (تكوين ٢٤: ٥٤، ٥٦), وذلك بعد أن أكِلَ وشَرِبَ والرِّجال الذين معه وباتوا ثم قاموا صباحًا. وعلى النَّقيض قبول يعقوب الإقامة في حِضن لابان عشرين عامًا.

ما أبعد الفارِق بين المَبيت ليلة والإقامة سِنينًا.

COPYRIGHTED

أكادُ أسمع كلمات بولس الرسول: «لأَنَّ دِيمَاسَ قَدْ تَرَكَنِي إِذْ أَحَبَّ العالَم الْحَاضِرَ» (٢ تيموثاوس ٤: ١٠).

صديقي الغالي جدًا، أنا لا أعلم في أيِّ طريقٍ ذَهَبتَ، لكن أعلم أن باب العودة مازال مَفتوحًا. أتركك مع هذه الكلمات راجيًا من روح الله أن يوقِظك. ألتقي بك في الأجزاء القادِمة لنعرف ماذا فعل العالَم بيعقوب وما الخسائر التي تكبَّدها وكيف عاد مَرَّة أخرى إلى بيت إيل.

COPYRIGHTED

الطَّريق الذي ذَهَبتَ فيه (٢)

رِفقَة بين الكَنيسة الأولى والأخيرة

خـرَج يعقـوب مـن بيـت أبيـه بعـد أن سَرَق البرَكـة مـن عيسـو. كان بالفعـل في حالـة يُـرثى لهـا. وَحيـدًا، خائِفًـا، ضَعيفًـا، هارِبًـا مـن المواجَهـة مـع عيسـو، نائِمًـا في القَفـر بـلا خَيمـة واضِعًـا رأسـه عـلى حَجَـر. كان ليـلًا بـاردًا مُظلمًا بـلا رؤيـة لأنَّ الشـمسُ كانـت قـد غابَـت. كان بالفعـل يَومًـا عَصيبًـا وَصَفـه فيـما بَعـد «يَـوْمِ ضِيقَتِـي» (تكويـن ٣٥: ٣).

في هـذه الحالـة المُضطَّرِبـة الحَرِجـة -بالفعـل حَرِجـة لأنَّ جهـاز المناعـة فيهـا كان في أضعـف مسـتوياته كـما سـنرى في السُّـطور القادِمـة- فَتَـح لـه العالَـم أحضانـه مُسـتقبِلًا إيَّـاه بالترِّحـاب.

كانـت الفاتِنـة راحيـل الجَميلـة هـي أول مـن قابلَـت يعقـوب في هـذا العالَـم الجديـد بالنسـبة لـه. كانـت الطُّعـم الأول الـذي سَـحَب أرجُلَـه. إنَّهـا تمُثِّـل شـهوة الجسـد. يـا لـه مـن طُعـمٍ قاتِـلٍ جـاء في وقـتٍ قاتـلٍ (وقـت كان فيـه يعقـوب مُنهَـكًا نفسـيًا ومُضطَّربًـا وهاربـاً وتائهـاً).

وبالفعـل بلَـع يعقـوب الطُّعـم بمجـرَّد أن أبصرهـا وحتَّـى قَبـل أن يتكلَّـم معهـا كلمـة واحـدة. «فَـكَانَ لَـمَّا أَبْـصَرَ يَعْقُـوبُ رَاحِيـلَ بِنْـتَ لاَبَـانَ خَالِـهِ وَغنـم لاَبَـانَ خَالِـهِ أَنَّ يَعْقُـوبَ تَقَـدَّمَ وَدَحْـرَجَ الْحَجَـرَ عَـنْ فَـمِ الْبِـئْرِ وَسَـقَى غنـم لاَبَـانَ خَالِـهِ. وَقَبَّـلَ يَعْقُـوبُ رَاحِيـلَ وَرَفَـعَ صَوْتَـهُ

COPYRIGHTED

وَبَكَى.» (تكوين ٢٩: ١٠، ١١). ثم استَدرَجَته وسَحَبَته إلى بيت أبيها.

وهما بعد في الطَّريق رَكَض لابان للقائه وعانَقَه وقَبَّلَه وأتى به إلى بيته. وهُنا للأسَف الشَّديد أرى مؤمنا ضَعيفًا واهِنًا يُهادِن العالَم ويعانِقه ويؤخَذ بشباكِه. مؤمنا يترُك بيت إيل ويأتي إلى بيت لابان. بيت لابان الذي سَبَق وأن خَرَجَت منه رِفقة في (تكوين ٢٤) مُعلِنة الانفصال عن هذا العالَم الوَثنيِّ. إنَّها صورة لمؤمن فاتِر عاد ليرتمَي في أحضان العالَم من جديد.

«وقَبَّلَه»، إنَّها قُبُلات مُسَمَّمة أسكَرَته وجَعَلَته يستسلِم ويُقيم في أحضان لابان سَبع أعوام بِغيَّة الحصول على راحيل. أليس هذا هو حال الكثير من المؤمنين اليوم؟ أقولُها بقلبٍ مكسورٍ!

ولكي يكون الفَخ أكثر إحكامًا، ولكي يطمَئِن يعقوب ولا تهاجِمه الشُّكوك، زاد لابان جُرعة المُخَدِّر وقال ليعقوب مَعسول الكلام: «إِنَّمَا أَنْتَ عَظْمِي وَلَحْمِي» (تكوين ٢٩: ١٤)، وبقول آخر (إنتَ واحِد مننا, واحنا بقينا أهل). يا لها من مأساة حقيقية أن يعيش مؤمنا في العالَم مُشاكِلًا هذا الدَّهر مُتشبِّهًا بأهل العالَم في كلماتهم وتصرُّفاتهم وأهدافهم وكأنَّه منهم، ناسيًا كلمات المسيح في صلاته للآب: «لَيْسُوا من العالَم كَمَا أَنِّي أَنَا لَسْتُ من العالَم.» (تكوين ١٧: ١٤)

أختَتِمُ هذا الجُزء بهذه العبارة المؤسِفة التي تعبِّر عن الحالة المؤسِفة التي وصل إليها يعقوب، وهي «فَأَقَامَ عِنْدَهُ» (تكوين ٢٩: ١٤)، أي أنَّ يعقوب أقام عند لابان.

COPYRIGHTED

في الصَّفحات القادِمة سنرى هل كانت إقامة يعقوب عند لابان مُريحة أم لا؟ مدفوعة الثَّمن أم مجَّانيَّة؟

عزيزي القارِئ صلاتي أن يتلامس معك روح الله في فكرة أو أكثر من أفكار هذا الجزء ليكشف لك حالتك ليشفيك ويستردَّك.

REMOOV

COPYRIGHTED

الطَّريق الذي ذَهَبتَ فيه (٣)

رِفقَة بين الكَنيسة الأولى والأخيرة

سأستكمل معك عزيزي القارِئ التَّكلُفة التي تكبَّدها يعقوب من إقامته في بيت وأحضان لابان.

ومن خلال هذا الجزء سأستعرض أمامك طبيعة العالَم وصفاته، صفات العالَم التي لا يجب أن تنساها مهما قدَّم لك من حب وقبول ظاهِريٍّ:

أولًا: العالَم غَشَّاش. اتَّفَق يعقوب مع لابان على أن يخدمه سَبعة أعوام مُقابل أن يعطيه راحيل. وبعد أن خدمه سَبعة أعوام، فإذ به يخدعه ويعطيه لَيئة. «وَفِي الصَّبَاحِ إِذَا هِيَ لَيْئَةُ. فَقَالَ لِلاَبَانَ: «مَا هَذَا الَّذِي صَنَعْتَ بِي! أَلَيْسَ بِرَاحِيلَ خَدَمْتُ عِنْدَكَ؟ فَلِمَاذَا خَدَعْتَنِي؟»» (تكوين ٢٩: ٢٥). وليس الخداع فقط هو المشكلة، ولكن المشكلة الأعوَص هي الإجابات المنطقيَّة التي تُبرِّر الخداع, «فَقَالَ لاَبَانُ: «لاَ يُفْعَلُ هَكَذَا فِي مَكَانِنَا أَنْ تُعْطَى الصَّغِيرَةُ قَبْلَ الْبِكْرِ.» (تكوين ٢٩: ٢٦) هكذا أجاب لابان على سؤال يعقوب. والسُّؤال، إن كنت حسن النيَّة يا لابان فلماذا لم تُعَرِّف يعقوب هذا الأمر قبل أن تتَّفِق معه، أن يخدمك سَبع سنوات براحيل؟ لماذا إتفقت معه على هذا الاتِّفاق من البداية؟ لماذا لم تكن واضِحًا؟ وأقول: أن التَّبريرات مهما كانت ظاهريًا منطقيَّة لا تنفي أن الدَّوافع داخليًا مُلتَوية.

COPYRIGHTED

ثانيًا: العالَم غَدَّار. ليس عنده مبادِئ ولا يحترِم كلمته ولا قوانينه ولا اتِّفاقيَّاته، بكل سهولة يخون ويغدُر. وهذا ما أقرَّهُ يعقوب بعد اختبار عشرين عامًا عندما قال لزوجتَيه: «وَأَمَّا أَبُوكُمَا فَغَدَرَ بِي» (تكوين ٣١: ٧). وما أقسى الغدر على النَّفس! لكنه اكتشاف صادِم مُفيد جَعَل يعقوب يستَفيق من غَيبوبته.

ثالثًا: العالَم مُتغيِّر. وقوانينه مُتغيرّة. قال يعقوب عن لابان: «غَيَّرَ أُجْرَتِي عَشَرَ مَرَّاتٍ.» (تكوين ٣١: ٧). وأتعجَّب كيف كان لابان يجد أسبابًا وحُجَجًا لتغيير أجرة يعقوب عشر مرات؟ إنَّها المُراوَغة واللَّف والدَّوران. إنها سَرِقة ونَصب تحت أقنِعة مُزيَّفة مُختلِفة. وقد اتَّضَح هذا ليعقوب تمام الوضوح عندما نظر وجه لابان وإذ هو ليس معه كأمس وأول من أمس. لقد تغيَّر مع الأيَّام. لقد اكتشف أن الذي رَكَض وعانَق وقبَّل لم يكن يُحِب، بل كان يبغي أن يستغِل ويستفيد. إنَّه ذات الشَّخص الجَشِع الذي يعشق المادَّة الذي ذكَرَ عنه الكتاب: «وَحَدَثَ أَنَّهُ إِذْ رَأَى الْخِزَامَةَ وَالسِّوَارَيْنِ عَلَى يَدَيْ أُخْتِهِ وَإِذْ سَمِعَ كَلاَمَ رِفْقَةَ أُخْتِهِ قَائِلَةً: «هكَذَا كَلَّمَنِي الرَّجُلُ» جَاءَ إِلَى الرَّجُلِ وَإِذَا هُوَ وَاقِفٌ عِنْدَ الْجِمَالِ عَلَى الْعَيْنِ. فَقَالَ: «ادْخُلْ يَا مُبَارَكَ الرَّب. لِمَاذَا تَقِفُ خَارِجاً وَأَنَا قَدْ هَيَّأْتُ الْبَيت وَمَكَاناً لِلْجِمَالِ؟»» (تكوين ٢٤: ٣٠، ٣١). لا أظنُّه قَط ترحيبًا بقدر ما أظنُّه عيوناً قد زاغَت عندما رأت الذَّهب في يدَي أخته.

صَدِّقني يا صديقي، العالَم له وجهٌ آخَر، بَشاعَته تفوق تصوُّرك. وحِضن لابان أقسى مما تتخَيَّل.

COPYRIGHTED

رابعًا: العالَم الذي لا يعطي مجَّانًا. وهذا ما أقرَّه يعقوب عندما قال: «كُنْتُ فِي النَّهَارِ يَأْكُلُنِي الْحَرُّ وَفِي اللَّيْلِ الْجَلِيدُ وَطَارَ نَوْمِي مِن عَيْنَيَّ.» (تكوين ٣١: ٤٠). ما أقسى هذا التَّعبير! (يَأْكُلُنِي الْحَرُّ the drought consumed me) يأكلني بمعنى يستهلِكني. وهذا ما يفعله العالَم بالضَّبط، حالة من الإستهلاك والإستنزاف وانعِدام السَّلام والقَلَق المُستمِر.

يا تُرى ما قيمة كل ما حصُلت عليه من العالَم -إن حصُلت- وأنت ضعيف ومُستهلَك ومُنهَك القوَى وقلِق. لقد دفع يعقوب ثمنًا باهِظًا، عشرون سنة من عمره.

خامسًا: العالَم شرِّير. بل موضوع في الشرِّير. قال لابان ليعقوب: «فِي قُدْرَةِ يَدِي أَنْ أَصْنَعَ بِكُمْ شَرّاً» (تكوين ٣١: ٢٩). العالَم لا يفَرِّط بسهولة في أتباعه, «ولكن لابان هو وأخوته أخذ يسعى وراء يعقوب مَسيرة سبعة أيام، إلى أن أدركه». لم يسعَ يَومًا فحسب ثم فشل وعاد، ولا حتى يومين أو ثلاثة، لكن سَبعة أيام حتَّى أدركه ويقول الكتاب: «فَلَحِقَ لاَبَانُ يَعْقُوبَ» (تكوين ٣١: ٢٥).

نعم لحقه لكن الرَّب وأمانته حفظ يعقوب من بَطش لابان مُحذِّرًا إيَّاه من أن يقترب من يعقوب بخير أو شر. لا تتخيَّل أبدًا يا صديقي المُستَفيق أن العالَم سيستسلِم بسهولة تاركًا إيَّاك تفلِت منه، لكن في الوقت ذاته إذا اتَّخذت قرارًا حكيمًا بالنُّهوض فلا تخشَ أبدًا بَطش لابان، الله لن يتركك أبدًا وكل قوَّته وسلطانه لحسابك، فهيَّا افعلها.

COPYRIGHTED

لكن أختتم هذا الجُزء بسؤالٍ هامٍ. كيف تكون هذه الحالة الهزيلة الضعيفة هي حالة ووضع شخص باركه الرَّب؟ ألم يحصُل يعقوب قبل هروبه إلى حاران على بركة إسحاق؟ ألم يقُل له إسحاق عندما باركه: « لِيُسْتَعْبَدْ لَكَ شُعُوبٌ وَتَسْجُدْ لَكَ قَبَائِلُ.» (تكوين ٢٧: ٢٩)، أي (لتخدمك شعوب let peoples serve you). فلماذا أراه يخدم في بيت لابان؟ أسمعه وهو يقول لزوجتَيه: «وَأَنْتُمَا تَعْلَمَانِ أَنِّي بِكُلِّ قُوَّتِي خَدَمْتُ أَبَاكُمَا» (تكوين ٣١: ٦). ألم يقُل له إسحاق عندما باركه: «كُنْ سَيِّداً لإِخْوَتِكَ» (تكوين ٢٧: ٣٠)؟ فلماذا أسمعه يقول لعيسو: «لِيَجْتَزْ سَيِّدِي قُدَّامَ عَبْدِهِ» (تكوين ٣٣: ١٤)؟ لماذا الواقع خِلاف الوعد؟ لماذا الوعد غير مُحقَّق والبركة غير مُفعَّلة؟

الواقِع خِلاف الوعد لأن حالته الرُّوحيَّة الفعليَّة خِلاف الحالة الروحية الصَّحيحة المُفترَض أن تكون عليها. كان المُفترَض ليعقوب أن يقيم في بيت إيل حَيث الحضور الإلهي وليس في بيت لابان حَيث الأوثان. واهم من يظِن أن الوعود بالبركة ستتحقَّق وتفعل في حياته وهو مقيم في حضن لابان. البركة لا تُفعَّل بعيدًا عن مُعطيها -إسحاق- والله عندما باركنا باركنا بكل بركة روحية في المسيح.

يعقوب أخذ البركة وجرى بطفولةٍ وعدم نضوج متوهِّمًا أنه سيتمتَّع بها في حاران بعيدًا عن إسحاق. لكنه اكتشف أن بعيدًا عن مُعطي البركة، البركة لا تعمل. البركة تحتاج أن تتَّصِل بمُعطيها لكي تُفعَّل. تمامًا مثل «البلوتوث»، إذا ابتَعَدَت أكثر من مسافة معينة عن مُعطيها تفقِد الاتِّصال. عاش يعقوب بعيدًا في حاران

COPYRIGHTED

ومعه البركة، وإن جاز أن أقول أن البركة في كل يَوم تقوم بعمل بحث Search عن مُعطيها حتَّى تُفعَّل، ولأن يعقوب بعيدًا عن إسحاق وعن بيت إيل كانت النَّتيجة فشل الاتِّصال Bluetooth connection failed. حتَّى عاد يعقوب إلى بيت أبيه إسحاق ودخل مجال بيت إيل وعادت العلاقة والشَّركة، وعندها تمَّ الاتِّصال بنجاح وتفعَّلَت البركة في حياته Bluetooth connected.

أخي الحبيب الغالي كَفَى! اتسَرَقت، اتخَدَعت، اتغَدَر بيك، تآكَلت، إستُهلِكت، اتبَهدِلت، كِبرِت ٢٠ سنة، ضِعِفت، قَسى عليك لابان، فقدت سلامك، فقدت نومك الهادئ، فقدت الشَّركة والعلاقة مع إله بيت إيل، فقدت متعة الإعلان والحضور الإلهي في حياتك، فقدت تفعيل الوعود. انهَض واستفِق، كَفى ما ضاع.

COPYRIGHTED

REMOON

COPYRIGHTED

الجزء الثاني

القُضبان المُقشَّرة على مَساقي المياه

الصَّليب منسوجًا بالحبر السِّريِّ في صَفحات الوَحي

خَتَمنا الجُزء السابق بوجه لابان العَكِر المُتغيِّر والذي رآه يعقوب معه ليس كأمس وأول من أمس. وفي هذا الجزء أبدأ بذلك الشَّخص الحُلو الذي قال عنه الكتاب أنه أبرع جمالًا من كل بَني البشر، يسوع المسيح الثَّابت الذي هو هو أمس واليوم وإلى الأبد، لا يعتريه تغيير ولا ظِل دَوَران، الذي وقف مع يعقوب ولم يتركه حتَّى وهو في أحَطِّ حالاته.

COPYRIGHTED

هـا يعقـوب قـد بـدأ يسـتَفيق وبـدأت فكـرة العَـودة تـراوده، وعـاد اللـه يتكلَّـم إليـه مـن جديـد ليقـوم وينهـض ويعـود إلى بيـت إيـل. والله إذ رأى كيـف أن لابـان ظَلَـم يعقـوب، قَـرّر أن يباركـه رغـم ضعفـه الشَّـديد ويعطيـه حقَّـهُ مـن لابـان. قـال يعقـوب للابـان: «اصْرِفْنِـي لأَذْهَـبَ إِلَى مَـكَانِي وَإِلَى أَرْضِي.» (تكويـن ٣٠: ٢٥). فقـرَّر لابـان أن يعطيـه أجرتـه قائـلًا ليعقـوب: « عَـيِّنْ لِي أُجْرَتَـكَ فَأُعْطِيَـكَ» (تكويـن ٣٠: ٢٨). وهُنـا بـدأت الصَّفقـة الغريبـة العجيبـة المُدهِشـة وبـدأ الـروح القـدس يسـطِّر مُجـددًا سُـطورًا مـن ذَهَـب خَلفَهـا أثمـن المعـاني وأغلـى الكنـوز، والتـي فَكَّـت رُموزهـا كُتُـب العهـد الجديـد.

أجـاب يعقـوب لابـان قائـلًا: «لاَ تُعْطِينِـي شَـيْئاً. إِنْ صَنَعْـتَ لِي هَـذَا الأَمْـرَ أَعُـودُ أَرْعَـى غنمـكَ وَأَحْفَظُهَـا» (تكويـن ٣٠: ٣١). واتَّفـق معـه أن يأخـذ أجرتـه ونصيبـه ليـس مـن هـذه القُطعـان الموجـودة ولكـن مـن تلـك التـي سـتولد في المسـتقبل. عـلى أن تكـون الرَّقطـاء والبَلقـاء والمُخطَّطـة -أي ذات اللونـين- مـن نصيـب يعقـوب، والسَّـادة -أي ذات اللـون الواحـد- مـن نصيـب لابـان. انـشَرَح لابـان بهـذا الاتِّفـاق لأنَّـه كان يعلـم أن نسـبة أن تـأتي غنـم مُرقَّطـة وبَلقـاء هَجينـة نسـبة ضعيفـة وطفـرات نـادرة، وبالتَّـالي سـوف يكـون العـدد الأكـبر مـن نصيبـه والعـدد الضَّئيـل مـن نصيـب يعقـوب.

وعـزل لابـان بدَهـاء جميـع المُرقَّـط والأبلَـق مـن التُّيـوس (الذُّكـور) والعِنـاز (الإنـاث) وكل مـا هـو مُتعَـدِّد الألـوان فاصِـلًا إيَّاهـا مـن القُطعـان، مُعطيًـا إيَّاهـا لبَنيـه ليسـيروا بهـا بعيـدًا مسـيرة ثلاثـة أيَّـام. وتـرك ليعقـوب باقـي القُطعـان السَّـادة ليرعاهـا؛ لـكي يضمـن بدهـاء

COPYRIGHTED

أن لا يحدث أي تزاوج بين المُرقَّطات والبُلق حتَّى لا يكون عدد الحِملان الوَليدة من المُرقَّط والأبلَق كثيرًا، وبالتالي يغتني يعقوب.

أخذ يعقوب باقي قُطعان لابان ذات اللون الواحد. وفعل أمرًا غريبًا، ظلَّلت فترة طويلة لا أفهمه، حتَّى فتح روح الله ذِهني وأفهَمني.

«فَأَخَذَ يَعْقُوبُ لِنَفْسِهِ قُضْبَاناً خُضْراً مِن لُبْنَى وَلَوْزٍ وَدُلْبٍ وَقَشَّرَ فِيهَا خُطُوطاً بِيضاً كَاشِطاً عَنِ الْبَيَاضِ الَّذِي عَلَى الْقُضبان. وَأَوْقَفَ الْقُضبان الَّتِي قَشَّرَهَا فِي الأَجْرَانِ فِي مَسَاقِي الْمَاءِ حَيْثُ كَانَتِ الْغنم تَجِيءُ لِتَشْرَبَ تُجَاهَ الْغنم لِتَتَوَحَّمَ عِنْدَ مَجِيئِهَا لِتَشْرَبَ. فَتَوَحَّمَتِ الْغنم عِنْدَ الْقُضبان وَوَلَدَتِ الْغنم مُخطَّطاتٍ وَرُقطاً وَبُلقاً.» (تكوين ٣٠: ٣٧-٣٩).

إلى من ترمز هذه القُضبان الخضراء عزيزي القارئ؟

ليس عندنا إلا المسيح الذي وَصَف نفسه قائلًا: «لأَنَّهُ إِنْ كَانُوا بِالْعُودِ الرَّطْبِ يَفْعَلُونَ هَذَا فَمَاذَا يَكُونُ بِالْيَابِسِ؟» (لوقا ٢٣: ٣١). ما أقسى ما فعله يعقوب، لقد قطع القُضبان الخضراء، وفي هذا إشارة واضحة لذلك الشخص الذي «قُطِعَ من أَرْضِ الأَحْيَاءِ» (إشعياء ٥٣: ٨). لقد قشر (Peeled) بسكينة القُضبان ليصنع بها خطوطًا كاشطًا (Uncovering) عن البياض الذي على القُضبان. اليس هذا ما حدث مع المسيح عزيزي القارئ عندما عروه ونزعوا عنه الرداء. عنما قشروه -له كل المجد- وألهبوا ظهره بالسياط تاركين على ظهره الكريم خطوطًا كعلامات المحراث.

COPYRIGHTED

كما يقول الوحي: «عَلَى ظَهْرِي حَرَثَ الْحُرَّاثُ. طَوَّلُوا أَتْلاَمَهُمْ» (مزمور ١٢٩: ٣).

لكن ماذا وجدوا يا ترى عندما قشروه وعروه؟

وجدوا كل بياض. كاشطاً عن البياض الذي على القُضبان. ما أنصعه بَياضًا وهو يقول للآب: «يَا أَبَتَاهُ اغْفِرْ لَهُمْ لأَنَّهُمْ لاَ يَعْلَمُونَ مَاذَا يَفْعَلُونَ» (لوقا ٢٣: ٣٤). ما أنصعه بَياضًا وهو «الَّذِي إِذْ شُتِمَ لَمْ يَكُنْ يَشْتِمُ عِوَضاً وَإِذْ تَأَلَّمَ لَمْ يَكُنْ يُهَدِّدُ» (١ بطرس ٢: ٢٣). ما أنصعه بَياضًا وهو يهتمُّ بأمِّهِ بالجسد قائلًا ليوحنَّا: «هُوَذَا أُمُّكَ» (يوحنا ١٩: ٢٧). بَياضاً اكتشفه لِصٌّ عندما كَشَطَ العَسكر القُضبان وشهد عنه قائلًا: «وَأَمَّا هَذَا فَلَمْ يَفْعَلْ شَيْئاً لَيْسَ فِي مَحَلِّهِ» (لوقا ٢٣: ٤١). إنه تقدِمَة الدَّقيق النَّاصِعة البَياض. إنَّه العريس الحبيب الذي وصفته العروس، حبيبي أبيض وأحمر. نَعَم لقد كشف الصَّليب حُبًّا لم تكشِفه المُعجزات، وبَياضًا يفوق الوَصف والكلمات.

وأقول: أن ما فعله يعقوب بالقُضبان فعله أولاد يعقوب -الأمَّة الإسرائيليَّة- بالعود الرَطِب.

لكن أخيرًا وليس آخِرًا أقول: أن يعقوب كان يضع القُضبان المُقشَّرة أمام عيون الغنم، فيذكر الكتاب: «وَحَدَثَ كُلَّمَا تَوَحَّمَتِ الْغنم الْقَوِيَّةُ أَنَّ يَعْقُوبَ وَضَعَ القُضبان أَمَامَ عُيُونِ الْغنم فِي الأَجْرَانِ لِتَتَوَحَّمَ بين القُضبان» (تكوين ٣٠: ٤١). أليس هذا بالظَّبط ما قاله بولس للغلاطيِّين: «١أَيُّهَا الْغَلاَطِيُّونَ الأَغْبِيَاءُ، من رَقَاكُمْ حتَّى لاَ تُذْعِنُوا لِلْحَقِّ؟ أَنْتُمُ الَّذِينَ أَمَامَ عُيُونِكُمْ قَدْ

COPYRIGHTED

رُسِمَ يَسُوعُ الْمَسِيحُ بينكُمْ مَصْلُوباً!» (غلاطية ٣: ١).

عزيزي القارئ، ما أروع أن نضع الصَّليب ونرسمه أمام عيون القُطعان.

في الصَّفحات القادمة سأستعرض معك أثر القُضبان المُقشَّرة على القُطعان، سوف نرى شعبًا سيولَد. عزيزي القاريء، هل ترى القُضبان المُقشَّرة على مَساقي المياه؟ هل تستطيع أن ترى الصَّليب منسوجًا في كل صفحات وسُطور الكتاب المقدس؟ صلاتي أن يفتح الرَّب العيون فترى.

الوَحَم، معناه وتفسيره

الصَّليب منسوجًا بالحبر السريِّ في العهد القديم. «مجوهرات الكتاب المقدس». بصدق أذهلني هذا الكتاب. أرجو أن تقرأ بهدوء لكي ترى عظمة الكلمة الحية تاركًا إيَّاها تشبعك وتحييك.

في الصَّفحات السَّابقة أوضحت أن القُضبان التي قطعها يعقوب واضعًا إياها على مساقي المياه في (تكوين ٣٠) تشير وترمز بوضوح إلى المسيح المصلوب الذي قال عن نفسه صراحة أنه العود الرَطِب (لوقا ٢٣).

ثم قاد يعقوب قُطعان الغنم السَّادة ذات اللون الواحد إلى مساقي المياه -لأن لابان كان بدهاء قد عزل الأرقَط والأبلَق وذوات اللونين وذَهَب بعيدًا مسيرة ثلاثة أيَّام حتَّى لا يحدث بينها تزاوج مما قد يجعل الحملان الوليدة المُرقَّطة كثيرة، وبهذا سوف يتَّسِع

COPYRIGHTED

نصيب يعقوب. وقام بوضع القُضبان التي قشَّرها صانعًا بها خطوطًا وكاشفًا عن البَياض الذي بها في مساقي المياه أمام عيون القُطعان حتَّى تتوحَّم الغنمات الحوامل أمام القُضبان المُخطَّطة وتلِد حملان بَلقاء ومُرقَّطة ومُخطَّطة. ونجحت تلك العمليَّة حتَّى أن الكتاب يقول: « فَتَوَحَّمَتِ الْغنم عِنْدَ القُضبان وَوَلَدَتِ الْغنم مُخطَّطاتٍ وَرُقْطاً وَبُلْقاً.» (تكوين ٣٠: ٣٩).

«الوَحَم» هو واقع غير مفسَّر علميًا، لكن بالرَّغم من ذلك لا يمكن إنكاره. نظرات تأمُّل عميق تُحدِث تغييرًا جذريًا داخليًا عميقًا. أرى فيها صورة باهتة ولكن واضحة للولادة الثَّانية أو الولادة من فوق. تلك العملية الحتميَّة التي كشف عنها المسيح بفمه الكريم لنيقوديموس. وكما أرانا نسأل عن الوَحَم «كيف»؟ سأل نيقوديموس المسيح ذات السُّؤال عن الولادة من فوق «كَيْفَ يُمْكِنُ أَنْ يَكُونَ هَذَا؟» (يوحنا ٣: ٩). إن الولادة من فوق عملية عجيبة مدهشة لا نستطيع أن نعرف تفاصيلها أو آلياتها أو تفسيرها. يقول المسيح: «اَلرِّيحُ تَهُبُّ حَيْثُ تَشَاءُ وَتَسْمَعُ صَوْتَهَا لَكِنَّكَ لاَ تَعْلَمُ مِنْ أَيْنَ تَأْتِي وَلاَ إِلَى أَيْنَ تَذْهَبُ. هَكَذَا كُلُّ مَنْ وُلِدَ مِنَ الرُّوحِ» (يوحنا ٣: ٨). كذلك تمامًا الوَحَم فهو عمليَّة لم يستطِع العِلم تفسيرها إلى يومنا هذا ولكن تأثيرها واقع لا يمكن إنكاره. فلقد وَلدَت الغنمات مُخطَّطات ورُقطًا وبُلقًا.

جدير بالذِّكر أن الحملان الوليدة لم تأتِ رَقطاء ومُخطَّطة نتيجة تزاوج طبيعي بين تَيس أرقط وعَنزة رَقطاء -لأن لابان كان قد عزل كل الأرقَط والأبلَق والمُخطَّط- لكنها جاءت رَقطاء

COPYRIGHTED

ومُخطَّطة نتيجة التوَحُّم على القُضبان، رغم أن الحوامل سادة ذات لون واحد. أليس هذا ما كشفه نور العهد الجديد عندما قال يوحنا في إنجيله عن أولاد الله المؤمنين باسمه: «اَلَّذِينَ وُلِدُوا لَيْسَ مِنْ دَمٍ وَلاَ مِنْ مَشِيئَةِ جَسَدٍ وَلاَ مِنْ مَشِيئَةِ رَجُلٍ بَلْ مِنَ اللَّهِ.» (يوحنا ١: ١٣). عزيزي القارئ، الإيمان لا يوَرَّث. وما أبعد الفارق بين الخليقة الجديدة والتهذُّب الأخلاقي الطَّبيعي.

أتعجَّب كل العَجَب وأنا أرى قطيعًا جديدًا من حِملان مُرقَّطة ومُخطَّطة ذات لونين جاء من آباء ذوي لون واحد. في هؤلاء ذوي اللون الواحد أرى الطَّبيعة السَّاقطة التي توارثناها من أبينا آدم، وفي هؤلاء الحِملان الجُدُد ذوات اللونين أرى كائنات عجيبة تحمل طبيعتين إحداهما من آدم بالولادة الأولى، والثَّانية من الله بالولادة الثَّانية.

أتعجَّب وأنا أرى قطيعًا جديدًا من الحِملان المُخطَّطة على ذات شاكِلة القُضبان المُخطَّطة. وأسمع صدى كلمات الوحي يرنُّ عاليًا في كل أجزاء الكتاب المقدس «لِيَكُونُوا مُشَابِهِينَ صُورَةَ ابْنِهِ» (رومية ٨: ٢٩).

صديقي الغالي لا يوجد شيء يستطيع أن يلِد النُّفوس ولادة ثانية سوى القُضبان المُقشَّرة على مساقي المياه، سوى الصَّليب والكلمة الحيَّة. كل ما عدا هذا من فلسفة وتصوُّف وتحليل نفسي وطقوس وممارسات لا تستطيع أن تلد النُّفوس ولادة ثانية روحيَّة حقيقيَّة من فوق.

COPYRIGHTED

صديقي أدعوك أن تلتفت إليه، قال الله: «اِلْتَفِتُوا إِلَيَّ وَاخْلُصُوا يَا جَمِيعَ أَقَاصِي الأَرْضِ لأَنِّي أَنَا اللَّهُ وَلَيْسَ آخَرَ.» (إشعياء ٤٥: ٢٢). التفت إليه ليس بنظرة عابرة، بل بنظرة متأمِّلة متسائلة عميقة. نظرة تُنشِئ فيك بالرُّوح القدس وَحَمًا مُقدَّسًا ومخاضًا روحيًا فتُولَد من جديد.

سَلَب الله مَواشي أبيكما وأعطاني

بعد أن توحَّمت القُطعان عند القُضبان ووَلَدت الغنم مُخطَّطات ورُقطًا وبُلقًا فعل أمرًا في غاية الأهميَّة. يقول الكتاب: «وَأَفْرَزَ يَعْقُوبُ الْخِرْفَانَ وَجَعَلَ وُجُوهَ الْغنم إِلَى الْمُخطَّط وَكُلَّ أَسْوَدَ بين غنم لاَبَانَ. وَجَعَلَ لَهُ قُطعاناً وَحْدَهُ وَلَمْ يَجْعَلْهَا مَعَ غنم لاَبَانَ.» (تكوين ٣٠: ٤٠).

أفرز يعقوب الخرفان. فَصَلَ يعقوب القُطعان. وجعل له قُطعانا وحده ولم يجعلها مع غنم لابان. يا له من فعل ذات معنى، لقد بدأت بصيرته تستنير من جديد، وبدأ يترك مكانه، وينفصل عن العالَم بعد أن أقام فيه سنينًا.

وكأنه قد أدرك -حين جعل له قُطعانا وحده ولم يجعلها مع غنم لابان- ما قاله فيما بعد بلعام مُجبرًا في سفر العدد: «إِنِّي مِن رَأْسِ الصُّخُورِ أَرَاهُ. وَمِن الآكَامِ أُبْصِرُهُ. هُوَذَا شَعْبٌ يَسْكُنُ وَحْدَهُ. وَبين الشُّعُوبِ لا يُحْسَبُ.» (عدد ٢٣: ٩). أو كأنه يخاطب قُطعانه المُرقَّطة المُخطَّطة البُلق، ويقول: «وَأَمَّا أَنْتُمْ فَجِنْسٌ مُخْتَارٌ، وَكَهَنُوتٌ مُلُوكِيٌّ، أُمَّةٌ مُقَدَّسَةٌ، شَعْبُ اقْتِنَاءٍ، لِكَيْ تُخْبِرُوا بِفَضَائِلِ

COPYRIGHTED

الَّـذِي دَعَاكُـمْ مِـن الظُّلْمَـةِ إِلَى نُـورِهِ الْعَجِيـبِ.» (١ بطـرس ٢: ٩).

أو كأنـه يـردِّد -عندمـا أفـرز يعقـوب الخرفـان- مـا قالـه بولـس عـن نفسـه: «وَلَكِـنْ لَـمَّا سَرَّ اللـهَ الَّـذِي أَفْـرَزَنِي مِـن بَطْـنِ أُمِّـي، وَدَعَـانِي بِنِعْمَتِـهِ» (غلاطيـة ١: ١٥). مـا أجمـل الإسـتنارة واليقظـة بعـد طـول غيـاب ونعـاس.

ثـم يقـول لزوجتيـه عبـارة معـبِّرة غايـة في الرَّوعـة: «فَقَـدْ سَـلَبَ اللـهُ مَـوَاشِيَ أَبِيكُـمَا وَأَعْطَـانِي.» (تكويـن ٣١: ٩). يـا للعجـب، لقـد كانـت كل القُطعـان للابـان -والـذي يرمـز لإبليـس الشريـر رئيـس هـذا العالَـم- ولكـن هـا أنـا أرى جـزء مـن القُطعـان خـرج مـن حَـوزة لابـان وأصبـح في حَـوزة يعقـوب (قُطعـان يعقـوب).

وأسـأل ذات السُّـؤال الـذي سـأله إشـعياء النبـي: «هَـلْ تُسْـلَبُ مـن الْجَبَّـارِ غَنِيمَـةٌ وَهَـلْ يُفْلِـتُ سَـبْيُ الْمنصُـورِ؟» (إشـعياء ٤٩: ٢٤). وكانـت الإجابـة «حتَّـى سَـبْيُ الْجَبَّـارِ يُسْـلَبُ وَغَنِيمَـةُ الْعَـاتِي تُفْلِـتُ. وَأَنَـا أُخَاصِـمُ مُخَاصِمَـكِ وَأُخَلِّـصُ أَوْلاَدَكِ» (إشـعياء ٤٩: ٢٥).

مـا أروع وأعظـم وأعمـق مـا فعلـه المسـيح عـلى الصَّليـب عزيـزي القـارئ. لقـد جـاء الأقـوى ورَبَـط القـويّ ونهـب أمتعتـه. إن القُضبـان المُقـشَّرة والتـي ترمـز إلى المسـيح المصلـوب هـي التـي أحدَثـت هـذا الفـارق وهـي التـي خصَّصَـت ليعقـوب قُطعانـاً بعـد أن كانـت كل القُطعـان للابـان.

لكـن أخـيرًا وليـس آخِـرًا، في كلمـة «أعطـاني» أسـمع كلـمات المسـيح وهـو يخاطـب الآب ويقـول: «أَنَـا أَظْهَـرْتُ اسْـمَكَ لِلنَّـاسِ الَّذِيـنَ

COPYRIGHTED

أَعْطَيْتَنِي من العالَم. كَانُوا لَكَ وَأَعْطَيْتَهُمْ لِي وَقَدْ حَفِظُوا كلاَمَكَ.» ثم يُكمِل صلاته «من أَجْلِهِمْ أَنَا أَسْأَلُ. لَسْتُ أَسْأَلُ من أَجْلِ العالَم بَلْ من أَجْلِ الَّذِينَ أَعْطَيْتَنِي لأَنَّهُمْ لَكَ.» (يوحنا ١٧: ٦، ٩). بالصَّليب أصبحنا عطيَّة الله للمسيح. بالقُضبان المُقشَّرة سلب الله جزءًا من قُطعان لابان وأعطاها ليعقوب. يا للرَّوعة ويا للنِّعمة الغنيَّة جدًا والقويَّة جدًا.

أخي العزيز الغالي، وسط الدَّعوات اللِّيبرالية العالية والانفتاح الغير مضبوط، ووسط معاول الهدم النَّشِطة التي تهدم كل أسوار الانفصال وتمزج وتموِّع كل المعاني والمعتقدات، أرجوك لا تنسَ أنك مُفرَز ومُخصَّص، لا تنسَ أنك مُرَقَّط ومُخطَّط، لا تنسَ أنك مُختلف.

وقت توحم الغنم .. زمان الافتقاد

«وَحَدَثَ فِي وَقْتِ تَوَحُّمِ الْغَنَمِ أَنِّي رَفَعْتُ عَيْنَيَّ وَنَظَرْتُ فِي حُلْمٍ وَإِذَا الْفُحُولُ الصَّاعِدَةُ عَلَى الْغَنَمِ مُخطَّطَةٌ وَرَقْطَاءُ وَمُنَمَّرَةٌ.» (تكوين ٣١: ١٠)

عبارة عجيبة فعلًا أثارت داخلي سؤالًا محيرًا. كيف رأى يعقوب في الحُلم أن الفحول (الذكور) الصَّاعدة على الغنم وقت التزاوج مُخطَّطة ورَقطاء ومنمرة، بالرَّغم من أن لابان في الحقيقة عزل وفصل كل المُرقَّط والمُخطَّط والأبلق من القُطعان قبل أن يعطيها ليعقوب ليرعاها؟ ممَّا يعني أن كل القُطعان التي بقيت مع يعقوب سادة.

COPYRIGHTED

ويا لروعة الدَّرس المستفاد ويا لعظمة كلمة الله!!

يقول الكتاب «وَحَدَثَ فِي وَقْتِ تَوَحُّمِ الْغنم»، إنه وقت محدد جدًا وزمن خاص جدًا. إنه كما يقول الكتاب وقت للولادة (جامعة ٣: ٢)، وأيضًا هو زمن افتقاد كما في (لوقا ١٩: ٤٤). إنه زمان الزيارات الإلهيَّة. زمان فيه يهبُّ روح الله على النُّفوس بقوة ويصارع معها ليحييها ويلِدها من جديد. فهل يستطيع لابان بكل خبثه وخطَّته أن يعرقِل الحُلم الإلهي ويمنع تحقيقه؟ وهل تستطيع كل قوى الشر، الشيطان وكل جيوشه وحيَّله ومكره وعراقيله أن تمنع روح الله من أن يلد نفسًا شاء في نعمته أن يلدها؟ حاشا وألف حاشا.

صديقي الغالي دع لابان يفعل ما يشاء. دعه يعزل كل المُرقَّط والمُخطَّط والأبلق. دعه يبتعد بقُطعانه المُرقَّطة والمُخطَّطة والبُلق مسيرة ثلاثة أيام. دعه يظن أنه انتصر وظفر. وأما أنت فقشِّر القُضبان ودع القُطعان تتوحَّم بين القُضبان في الأجران. وسترى بعينك القيامة وقوتها. دع لابان يتوهَّم ودع القُطعان تتوحَّم. إنه وقت توحُّم الغنم.

صديقي الغالي المتحيِّر، صدِّق الحُلم الإلهي الذي بداخلك إلى النِّهاية (مُرقَّط)، حتَّى ولو كان الواقع الملموس والعيان مختلفًا (سادة). وصدِّقني سوف يأتي الوقت الذي فيه سترى حُلمك يتحقَّق ويخرج للنور. سوف يأتي الوقت الذي فيه تترنَّم: «لم ترَ عين إلهًا غيرك .. من يشقُّ الغمر فإذا طريق .. لا تعوقه جبال أو سدود».

COPYRIGHTED

يدعو الأشياء غير الموجودة كأنَّها موجودة

رأينا في إبراهيم إيمانًا نادرًا في قوته، إيمانًا جعله يستحق لقب «أبو المؤمنين». إيمانًا وصفه بولس الرسول في (رومية ٤) بأنه إيمان على خِلاف الرجاء، على خِلاف الواقع المنظور -الذي يتمثل في فناء سارة ومُماتيَّة مُستودعها وكِبرَ أبرام في العمر- آمن إبراهيم بوعد الرَّب له بابن يخرج من أحشائه تلده له سارة. وقد كان، وأتى إسحاق وتحقَّق الوعد.

وهنا أرى يعقوب حفيد إبراهيم رغم ضعفه وحالته المترهِّلة وغير المُتَّزنة تتفتق بداخله بذرة إيمان من ذات نوعية إيمان إبراهيم. فقد وعده الله في حُلم بقطيع من الأغنام المُرقَّطة والمُخطَّطة والبُلق (تكوين ٣١: ١١-١٣). وعلى خِلاف الرجاء المنظور – فقد عزل لابان بدهاء كل الأرقَط والمُخطَّط والأبلق حتَّى لا يحدث تزاوج فتنجب حِملان مُرقَّطة ومُخطَّطة وبلقاء- آمن يعقوب على الرجاء بأن ما وعد به الله فهو قادر أن يفعله أيضًا. وبنفحات إيمان بسيطة صادرة من قلب ضعيف أراه يقشِّر القُضبان ويضعها أمام عيون الغنم لتتوحَّم بينها -إنه فعل إيمان مبني على وعد إلهي رآه في حُلم- وأرى الله يكرم هذه النفحات البسيطة ويحقق وعده بقُطعان مُرقَّطة ومُخطَّطة وبلقاء ويشدِّد ضعف يعقوب ويسنده؛ ليستعيده ويستردَّه من جديد.

COPYRIGHTED

يا للعجب والرَّوعة قطيع كامل من الغنم لم يكن له وجود على أرض الواقع. فقط كان معروفًا وموجودًا في فكر الله أزلًا. وفي الزمان -وقت توحُّم الغنم- دعا الله هذا القطيع غير الموجود وكأنه موجود فوجد.

أكاد أسمع صدى كلمات بولس الرسول وهو يقول: «لأَنَّ الَّذِينَ سَبَقَ فَعَرَفَهُمْ سَبَقَ فَعَيَّنَهُمْ لِيَكُونُوا مُشَابِهِينَ صُورَةَ ابْنِهِ لِيَكُونَ هُوَ بِكْراً بين إِخْوَةٍ كَثِيرِينَ. وَالَّذِينَ سَبَقَ فَعَيَّنَهُمْ فَهؤلاء دَعَاهُمْ أَيْضاً. وَالَّذِينَ دَعَاهُمْ فَهؤلاء بَرَّرَهُمْ أَيْضاً. وَالَّذِينَ بَرَّرَهُمْ فَهؤلاء مَجَّدَهُمْ أَيْضاً.» (رومية ٨: ٢٩-٣٠)

أو كلماته أيضًا «كَمَا اخْتَارَنَا فِيهِ قَبْلَ تَأْسِيسِ العالَم، لِنَكُونَ قِدِّيسِينَ وَبِلاَ لَوْمٍ قُدَّامَهُ فِي الْمَحَبَّةِ» (أفسس ١: ٤)

وكذلك أيضًا «الَّذِي خَلَّصَنَا وَدَعَانَا دَعْوَةً مُقَدَّسَةً، لاَ بِمُقْتَضَى أَعْمَالِنَا، بَلْ بِمُقْتَضَى الْقَصْدِ وَالنِّعْمَةِ الَّتِي أُعْطِيَتْ لَنَا فِي الْمَسِيحِ يَسُوعَ قَبْلَ الأَزْمِنَةِ الأَزَلِيَّةِ» (٢ تيموثاوس ١: ٩) .صَدَق داود عندما قال بالرُّوح القدس بالنبوَّة: «الذُّرِّيَّةُ تَتَعَبَّدُ لَهُ. يُخَبَّرُ عَنِ الرَّب الْجِيلُ الآتِي. يَأْتُونَ وَيُخْبِرُونَ بِبِرِّهِ شَعْباً سَيُولَدُ بِأَنَّهُ قَدْ فَعَلَ.» (مزمور ٢٢: ٣٠-٣١)

ما أجمل هذا القطيع المُرقَّط المُخطَّط الأبلق! لكن الأجمل جدًا أن هذا القطيع كان موجودًا في فكر الراعي -راعي الخراف العظيم- قبل أن يولَد أو يوجَد.

COPYRIGHTED

ولم تنتهِ قصَّة هذا القطيع عند هذا الفصل فحسب، لكن ما أروع الفصل القادم الذي سيحدث في المستقبل القريب. ما أروع كلمات الوحي الواردة عن يعقوب «وَسَاقَ كُلَّ مَوَاشِيهِ وَجَمِيعَ مُقْتَنَاهُ الَّذِي كَانَ قَدِ اقْتَنَى: مَوَاشِيَ اقْتِنَائِهِ الَّتِي اقْتَنَى فِي فَدَّانِ أَرَامَ لِيَجِيءَ إِلَى إِسْحَاقَ أَبِيهِ إِلَى أَرْضِ كَنْعَانَ.» (تكوين ٣١: ١٨).

وفي يعقوب وهو يسوق مواشيه -ملكه الخاص- التي كان قد اقتناها من فدان أرام ليجيء بها إلى إسحاق أبيه إلى أرض كنعان، أرى ظلالًا باهتة للمسيح الرأس وهو يقود الكنيسة -خرافه الخاصَّة- التي اقتناها بدمه، تلك الخراف التي قال عنها «خرافي» في (يوحنا ١٠)؛ لكي يصل بهم إلى بيت الآب. لقد عاد يعقوب إلى بيت أبيه، لكنه لم يعُد منفردًا بل عاد ومعه قطيع كبير من الغنم. وكأنه يقول لإسحاق أبيه ذات كلمات المسيح «هَا أَنَا وَالأَوْلاَدُ الَّذِينَ أَعْطَانِيهِمِ اللهُ» (عبرانيين ٢: ١٣).

بصدق، ما أروعها قصَّة مليئة بالكنوز والظلال. ما أروع الروح القدس وهو يرسم بريشته بدقة بالغة ويخبر منذ البدء بالأخير.

إن الكتاب المقدَّس هو الأرض التي أخفى فيها الرُّوح القدس جواهره الثمينة. فهل تراه هكذا عزيزي القارئ؟

COPYRIGHTED

الجزء الثالث

أنا إله بيت إيل حيث مَسَحت عمودًا

بدأ يعقوب رحلة العودة أو ما أسميه رحلة التَّصحيح. جمع كل ما له، كل مُقتنياته في حاران وأدار ظهره إلى حاران مُتَّجهًا إلى كنعان. وهذه هي التَّوبة في معناها الأصلي .. تغيير الاتِّجاه.

لفتت نظري عبارة جميلة ذات مغزى عميق قالها الله ليعقوب: «أَنَا إِلَهُ بيت إِيلَ حَيْثُ مَسَحْتَ عَمُوداً.» (تكوين ٣١: ١٣). كان الله هنا يذكره بما فعل في (تكوين ٢٨) عندما هرب من بيت أبيه خوفًا من عيسو. يذكره بالعمود الذي مسحه. إن هذا العمود الممسوح بالزَّيت يعطينا ظلالًا باهتة للكنيسة المختومة بالرُّوح القدس. بيت الله، بيت إيل، عمود الحق وقاعدته.

COPYRIGHTED

وهـذا مـا تقولـه كلمـة الحيـاة «وَلَكِـنْ إِنْ كُنْـتُ أُبْطِـئُ فَلِـكَيْ تَعْلَـمَ كَيْـفَ يَجِـبُ أَنْ تَتَصَرَّفَ فِي بيت اللهِ، الَّـذِي هُـوَ كَنِيسَـةُ اللهِ الْحَـيِّ، عَمُـودُ الْحَـقِّ وَقَاعِدَتُـهُ. (١ تيموثـاوس ٣: ١٥). وكأنَّ اللـه يُحيـي مـن جديـد ضميـره الفاتـر البـارد الجامـد ويذكـره بمقامـه ومكانتـه: «قـم يـا يعقـوب، مكانـك ليـس هنـا، مكانـك ليـس في بيـت لابـان». وأسـمع اللـه ينـادي ويقولهـا لـكل شـخص تهـاوَن وتهـادَن مـع العالَـم، كل شـخص اسـترخى وأقـام وطالـت إقامتـه في بيـت لابـان، لا تنـسَ العمـود الـذي مسـحته يومًـا مـا. لا تنـسَ انتمـاءك الأصلي وأنـك عضـو في جسـد المسـيح. لا تنـسَ أنـك لسـت مـن هـذا العالَـم.

لقـد بـات يعقـوب ليلـة في بيـت إيـل، بعدهـا أقـام عشريـن عامًـا في بيـت لابـان. لكـن اللـه يقـول لـه: «قُـمِ اصْعَـدْ إِلَى بيت إِيـلَ وَأَقِـمْ هُنَـاكَ» (تكويـن ٣٥: ١). إن مـكان إقامتـك يـا يعقـوب هـو بيـت إيـل وليـس بيـت لابـان. وكـم مـن مـرات نعكـس الوضـع عزيـزي القـارئ، عندمـا نقيـم في العالَـم ونـتردَّد عـلى بيـت اللـه كتأديـة واجـب أو أحيانًـا مجـرَّد إرضـاء لضمائرنـا. لكـن اللـه يـا عزيـزي يرفـض ويكـره مسـك العصـا مـن المنتصَـف. اللـه لا يدعونـا فقـط أن نقيـم في بيـت إيـل -لكـن لا مانـع مـن المبيـت ليلـة أو بعـض الليـال في العالَـم- حاشـا، اللـه يدعونـا لأن نعطـي ظهورنـا للعـالم وألا نعـود إليـه بتاتًـا مـرة أخـرى، مُخرِجـين إيَّـاه تمامًـا مـن قلوبنـا.

لاحـظ هـذه العبـارات الحاسـمة القاطعـة التـي ذكرهـا الكتـاب عـن يعقـوب عندمـا قـرَّر تـرك بيـت لابـان:

COPYRIGHTED

• **أولًا:** لا تستأذِن العالَم الوثنيّ أنك ستتركه لأنه لن يتركك بسهولة. وهذا ما فعله يعقوب عندما هرب دون أن يخبر لابان «وَخَدَعَ يَعْقُوبُ قَلْبَ لاَبَانَ الأَرَامِيِّ إِذْ لَمْ يُخْبِرْهُ بِأَنَّهُ هَارِبٌ.» (تكوين ٣١: ٢٠). أليس هذا ما حرضنا عليه الرسول عندنا قال «لِذَلِكَ يَا أَحِبَّائِي اهْرُبُوا مِن عِبَادَةِ الأَوْثَانِ.» (١ كورنثوس ١٠: ١٤)

• **ثانيًا:** لا تترك أشياءً عالقة بينك وبين العالَم يمكن من خلالها أن يسحبك العالَم من جديد بل ضع نقطة فاصلة وحدًّا فاصلًا بينك وبين العالَم ولا تتجاوزه فيما بعد. اسمع هذه العبارات القوية التي قيلت للتعبير عن إنهاء كل شيء بين يعقوب ولابان. يقول الكتاب: «وَ «الْمِصْفَاةَ» لأَنَّهُ قَالَ: «لِيُرَاقِبِ الرَّب بيني وَبينكَ حِينَمَا نَتَوَارَى بَعْضُنَا عَنْ بَعْضٍ.» (تكوين ٣١: ٤٩) وتأتي كلمة تتوارى هنا بمعنى (Hidden)، أي نختفي بعضنا عن بعض «لن نتمكن من ملاقاة بعضنا البعض مرة أخرى». وكأن يعقوب مات بالنسبة للعالم والعالَم مات بالنسبة ليعقوب. ثم قاموا بعمل رجمة من الحجارة لتكون نقطة فصل وألا يتجاوز أيّ منهما هذه الرَّجمة إلى الآخر فيما بعد «شَاهِدَةٌ هَذِهِ الرُّجْمَةُ وَشَاهِدٌ الْعَمُودُ أَنِّي لاَ أَتَجَاوَزُ هَذِهِ الرُّجْمَةَ إِلَيْكَ وَأَنَّكَ لاَ تَتَجَاوَزُ هَذِهِ الرُّجْمَةَ وَهَذَا الْعَمُودَ إِلَيَّ لِلشَّرِّ.» (تكوين ٣١: ٥٢)

لاحظ عزيزي القارئ قول الكتاب لا يتجاوز أي منهما الآخر، أي لا يعود يعقوب مرَّة أخرى إلى العالَم ولا يتسرب العالَم مرَّة أخرى إلى يعقوب. فهو انفصال مُطلَق تام.

COPYRIGHTED

• **ثالثًا:** لا تخدع نفسك بعهود ووعود كاذبة لأن الله رقيب وهو يرى نوايا القلوب الخفيَّة وليس فقط الأفعال الظَّاهريَّة. فهو كان يراقب جيدًا ما بين يعقوب ولابان.

أخي الحبيب الغالي التائِه والذي طال تيهَك، أرجوك اسمع دعوة الرَّب لك اليوم، قُم اصعد إلى بيت إيل وأقِم هناك.

الحسابات البشريَّة الخاطِئة، أمانة الله الفائِقة

عاش حياته هاربًا، وما أقسى أن تعيش حياتك كلها هاربًا يا صديقي. في بداية خروجه من بيت أبيه خرج هاربًا من بَطش أخيه عيسو «حِينَ هَرَبْتَ مِنْ وَجْهِ عِيسُو أَخِيكَ» (تكوين ٣٥: ١). وفي نهاية إقامته في حاران خرج أيضًا هاربًا خوفًا من شر لابان «فَأُخْبِرَ لاَبَانُ فِي الْيَوْمِ الثَّالِثِ بِأَنَّ يَعْقُوبَ قَدْ هَرَبَ» (تكوين ٣١: ٢٢).

عندما هرب من فخ عيسو وقع في بَراثِن لابان. وعندما هرب من براثن لابان وجد نفسه مرة أخرى وقد وقع في فخ عيسو. يا لها من مشورة حمقاء غبيَّة أشارت بها رفقة على يعقوب. كانت تستنِد إلى ثقافة النِّسيان. قالت له: «فَالآنَ يَا ابْنِي اسْمَعْ لِقَوْلِي وَقُمِ اهْرُبْ إِلَى أَخِي لاَبَانَ إِلَى حَارَانَ وَأَقِمْ عِنْدَهُ أَيَّاماً قَلِيلَةً حَتَّى يَرْتَدَّ غَضَبُ أَخِيكَ عَنْكَ وَيَنْسَى مَا صَنَعْتَ بِهِ. ثُمَّ أُرْسِلُ فَآخُذُكَ مِنْ هُنَاكَ. لِمَاذَا أُعْدَمُ اثْنَيْكُمَا فِي يَوْمٍ وَاحِدٍ؟ » (تكوين ٢٧: ٤٣-٤٤). وكم من آباء يتصرَّفون بقلبٍ محبٍّ لكن بعقلٍ غير حكيم مرتكزين في نصائحهم لأبنائهم على الخبرة الشَّخصيَّة والثقافة

COPYRIGHTED

المجتمعيَّة والحكمة الإنسانيَّة. وليس على كلام الكتاب المقدس والحكمة الإلهيَّة. ويحضُرني هنا ثلاث أسئلة واجبة الإجابة.

السُؤال الأول الواجب الإجابة، هل استطاعت عشرون عامًا أن تُنسي عيسو ما صنعه معه يعقوب؟ بالطبع لا، لم ينسَ عيسو ما صنعه به يعقوب «فَرَجَعَ الرُّسُلُ إِلَى يَعْقُوبَ قَائِلِينَ: «أَتَيْنَا إِلَى أَخِيكَ إِلَى عِيسُو وَهُوَ أَيْضاً قَادِمٌ لِلِقَائِكَ وَأَرْبَعُ مِئَةِ رَجُلٍ مَعَهُ»» (تكوين ٣٢: ٦). مازال اللِّقاء العنيف قائمًا وقادمًا. لقد خابت حساباتِك ونظريَّاتِك يا رفقة وعيسو مازال متذكِّرًا ما فعله به يعقوب.

السُؤال الثاني الواجب الإجابة، هل استطاعت نصائح رفقة أن تفُك الصِّراع المُحتدَم بين عيسو ويعقوب؟ بالطبع لا. لم تفُك الصِّراع بل بالعكس زادته تعقيدًا وعُنفًا. فلو واجه يعقوب عيسو قبل هروبه إلى حاران لكانت المواجهة بين نفرين -عيسو ويعقوب- فقط. لكن المواجهة الآن بعد عشرين عامًا ستكون أكثر عُنفًا وضَراوةً، فعيسو أصبح أكثر احترافًا وتدريبًا على الفنون القتاليَّة، كما أنَّه لم يعد بمفرده بل كوَّن جيشًا من أربعمائة رجل جميعهم متدرِّبون على القتل والصيد وسفك الدِّماء طيلة السَّنوات الماضيَّة.

السُؤال الثالث الواجب الإجابة، هل تمكَّنت رفقة من أن ترسل ليعقوب لتسترجعه من عند لابان مرَّة أخرى كما قالت؟ بالطبع لا. للأسف، لأنها ماتت. ماتت قبل أن ترى يعقوب.

يا للحماقة والغباء. كل ما استندتي إليه يا رفقة انكسر. كل حساباتِك لم تتِم. وكل توقُّعاتِك وخطتكِ خابَت. حلولكِ البشريَّة

COPYRIGHTED

ضاعفت المشكلة وزادت الورطة أربعمائة مرة، ويا ليتكِ موجودة حتَّى تقفي في هذه اللَّحظة العصيبة بجوار يعقوب.

هذا هو الإنسان في غبائه عزيزي القارئ. هذا هو الإنسان عندما يستخدم عقله مستقلاً عن الله.

وَعَدَت رفقة يعقوب أن تستدعيه مرة أخرى عندما ينسى عيسو ويرتد غضبه، لكن الله استدعاها قبل أن تستدعيه. لكن، هناك شخص لا يغيب أبدًا، دائم وواجب الوجود وَعَد يعقوب أن يردَّه إلى بيت أبيه «وَهَا أَنَا مَعَكَ وَأَحْفَظُكَ حَيْثُمَا تَذْهَبُ وَأَرُدُّكَ إِلَى هَذِهِ الأَرْضِ لأَنِّي لاَ أَتْرُكُكَ حَتَّى أَفْعَلَ مَا كَلَّمْتُكَ بِهِ» (تكوين ٢٨: ١٥). وَعَد وأوفى وأسمعه وهو يدعو يعقوب للنُّهوض والعودة «ارْجِعْ إِلَى أَرْضِ آبَائِكَ وَإِلَى عَشِيرَتِكَ فَأَكُونَ مَعَكَ» (تكوين ٣١: ٣).

عاش يعقوب هاربًا، لا يستطيع أحد أن يمسكه لكن يوجد شخصٌ عظيمٌ لا يستطيع أحد في الدنيا كلها أن يهرب منه، هذا الشخص إستطاع أن يمسكه جيداً. في الصَّفحات القادمة نستكمل الحكاية.

لكثرة القوَّة وكَونِه شديد القُدرة لا يُفقَد أحَد

انتهينا في الصَّفحات السَّابقة بوعد رفقة ليعقوب بأن تُرسِل وتستدعيه عندما يرتد سخط عيسو عنه واكتشفنا أنها لم تتمكَّن من تنفيذ وعدها، لأن الله استدعاها قبل أن تستدعيه. واليوم سأستكمل القصَّة في صورة حوار تخيُّلي بين رفقة -كمثال لكثير من الآباء والأمهات- والرَّب بعد أن ذهبت إلى السَّماء.

COPYRIGHTED

- رفقة: قلبي مكسور يا رب، لقد أضعته، بحكمتي البشريَّة، وفقدته بأفكاري الملتويَّة الموروثة.

- الرَّب: أنا أيضاً قلبي مكسور يا رفقة. بدأتي بداية قويَّة، عروسة عفيفة، كنيسة قوية ملتهبة. لكنك إنتهيتي نهاية ضعيفة فاترة مثل لاودكية. منارتك ضِعفت جداً، بأفكارك العالميَّة وحكمتك البشريَّة وفلسفتك الجَوفاء أضعتي أبناءك وفقدتيهم.

- رفقة (بخجل): أنا آسفة يا رب، كنت متخيِّلة أن الزَّمن سيجعل عيسو ينسى، لكن يبدو أني أخطأت في حساباتي. أنا فعلاً حزينة جدًا وأنا أراه مزنوق ومضغوط وخائف «فَخَافَ يَعْقُوبُ جِدّاً وَضَاقَ بِهِ الأَمْرُ» (تكوين ٣٢: ٧).

- الرَّب: لا تخافي يا رفقة، أنتِ غالية على قلبي مهما ضعُفتي. لو إنتِ أضعتيه أنا وجدته، «وَجَدَهُ فِي أَرْضِ قَفْرٍ وَفِي خَلاءٍ مُسْتَوْحِشٍ خَرِبٍ. أَحَاطَ بِهِ وَلاحَظَهُ وَصَانَهُ كَحَدَقَةِ عَيْنِهِ.» (تثنية ٣٢: ١٠). ولو إنتِ تغيبتي عن المشهد ولم تقدري أن تكمِّلي وتتمِّمي وعودك له، أنا موجود دائماً في المشهد حتَّى لو كنت غير منظور، انا سوف أعتني به جيداً. أنا قوي جدًا جدًا يا رفقة أكتر مما تتخيِّلي لكن أنتِ قد إخترتي أن تعتمدي على حكمتك وذكائك بدلاً من أن تعتمدي عليَّ. كنت أتمنى وأنتِ معه أن ترفعي عينك إلى أعلى وتضعي ثقتك فيَّ «ارْفَعُوا إِلَى الْعَلاَءِ عُيُونَكُمْ وَانْظُرُوا مَنْ خَلَقَ هَذِهِ؟ مَنِ الَّذِي يُخْرِجُ بِعَدَدٍ جُنْدَهَا يَدْعُو كُلَّهَا بِأَسْمَاءٍ؟ لِكَثْرَةِ الْقُوَّةِ وَكَوْنِهِ شَدِيدَ الْقُدْرَةِ لاَ يُفْقَدُ أَحَدٌ.» (إشعياء ٤٠: ٢٦). والأن إهدأي يا رفقة وأنظري مِن أعلى ماذا سأفعل مع يعقوب وكيف سأعتني به.

COPYRIGHTED

وبدأ الله يصارع يعقوب «فَبَقِيَ يَعْقُوبُ وَحْدَهُ. وَصَارَعَهُ إِنْسَانٌ حَتَّى طُلُوعِ الْفَجْرِ.» (تكوين ٣٢: ٢٤).

- رفقة: حاسِب يا رب، إنت بتعمل إيه؟! هو ناقص!! الدُّنيا كلها عليه، بالرَّاحة عليه شويَّه.

- الرَّب: اتفرَّجي وانتِ ساكتة يا رفقة، لن تكوني أحَنّ عليه منِّي. مهما أحببتي يعقوب فلن تحبيه أكتر منِّي، بحنيِّتِك وحكمتِك أضعتيه. يعقوب يحتاج إلى تقويم وتهذيب يا رفقة. ألا تري معي أن ابنك عنيد ويأبى أن يسلِّم لي!!

- رفقة (صارخة): بهدوء طيب يا رب، خد بالك يا رب، إنت كده ممكن تخلع له حُقّ فَخذه.

- الرَّب: لا يوجد حل أخر غير هذا الحل يا رفقة «وَلَمَّا رَأَى أَنَّهُ لاَ يَقْدِرُ عَلَيْهِ ضَرَبَ حُقّ فَخذه فَانْخَلَعَ حُقُّ فَخْذِ يَعْقُوبَ فِي مُصَارَعَتِهِ مَعَهُ.» (تكوين ٣٢: ٢٥)، هو ده علاج يعقوب يا رفقة.

- رفقة: كيف يكون خَلْع حُقّ الفَخذ علاج يا رب؟ لا أستطيع أن أفهم منطقك يا رب، منطقك غريب جدًا. المريض الذي ينخلع حُقّ فَخذه (Dislocated) يذهب الى المستشفى بحثاً عن العلاج وبحثاً عن طبيب يرد له حُقّ فَخذه (Reduction). فكيف يكون خلع حُقّ الفَخذ علاج يا رب؟

- الرَّب: توجد قاعدة شهيرة في الطِّب يا رفقة تقول أن «إنقاذ حياة المريض أولى من إنقاذ طَرَف من أطرافه» Life saving is

COPYRIGHTED

a priority than limp saving. هـذه القاعـدة أخذهـا الطِّـب مـن الكتـاب المقـدس.

- رفقة: أين هذا الكلام يا رب في الكتاب المقدس؟

- الـرَّب: مكتـوب «إِنْ أَعْثَرَتْـكَ عَيْنُـكَ فَاقْلَعْهَـا وَأَلْقِهَـا عَنْـكَ. خَيْرٌ لَكَ أَنْ تَدْخُـلَ الْحَيَـاةَ أَعْـوَرَ مِـنْ أَنْ تُلْقَـى فِي جَهَنَّـمَ النَّـارِ وَلَـكَ عَيْنَـانِ.» (متـى ١٨: ٩). المعنـى هنـا يـا رفقـة معنـوي لكنُّـه يحقـق ذات القاعـدة وهـي إن حيـاة النَّفس ودخولهـا الحيـاة أهـم مـن حيـاة عضـو واحـد.

- رفقـة: مـاذا يعنـي هـذا الـكلام يـا رب؟ هـل تقصـد أنـك سـتتركه هكـذا؟ ألـن تـرد لـه حُـقّ فَخـذه مـرة أخـرى؟

- الـرَّب: آه سـوف أتركـه هكـذا يـا رفقـة، وسـوف لـن أرد لـه حُـقّ فَخـذه مـرة أخـرى، لكـن في ذات الوقـت يـا رفقـة سـوف لـن أتركـه ولا حتـى لحظـة واحـدة. سـوف أكـون لـه نقطـة إرتـكازه وسـنده. رَد نفسـه عنـدي أهـم مـن رَد حُـقّ فَخـذه يـا رفقـة. آه لـو فهمتـي منطقـي يـا رفقـة وتخليتـي عـن منطقِـك، سـوف ترتاحـي كثـيراً.

لقـد إسـتطاع يعقـوب أن يخلـع مـن عيسـو في البدايـة، وإسـتطاع أن يخلـع مـن لابـان في النهايـة. لكـن مـا كان يحتاجـه بصـدق هـو أن يخلـع مـن نفسـه، وهـذا مـا تطلَّـب الـصِّراع.

الخَلْـع (خَلْـع حُـقّ الفَخـذ) والقلـع (قَلـع العـين) كلمتـان بالفعـل قاسـيتان جـدًا. أعـرج وأعـور، حالتـان بالفعـل قاسـيتان جـدًا. لكـن جهنَّـم أقـسى منهـما بكثـير، والعيشـة ضـالًا وتائهًـا أقـسى منهـما بكثير.

COPYRIGHTED

هل تغيرَّ الله بين بيت إيل وفَنوئيل؟

في بيت إيل في (تكوين ٢٨) نرى الرَّب واقفًا على رأس السُلَّم ونرى الملائكة صاعدة ونازلة في مشهد يبعث للسَّلام ونسمع وعود الله المطمئنة والتي نردِّدها إلى يومنا هذا لتشجيع الكثيرين «هَا أَنَا مَعَكَ وَأَحْفَظُكَ حَيْثُمَا تَذْهَبُ وَأَرُدُّكَ إِلَى هَذِهِ الأَرْضِ لأَنِّي لاَ أَتْرُكُكَ حتَّى أَفْعَلَ مَا كَلَّمْتُكَ بِهِ» (تكوين ٢٨: ١٥).

أمَّا في (تكوين ٣٢) نرى الرَّب مصارعًا قويًا لم ينتهِ إلا بخَلْع الرَّب لحُقّ فَخذ يعقوب. والسُّؤال، هل تغيَّر الله بمرور أربع أصحاحات من ٢٨ إلى ٣٢ .. من الواقف على السلم إلى المُصارِع في المخاضة؟

أقول حاشا وألف حاشا أن يتغيَّر الله أو أن تتغيَّر مقاصده ومحبَّة قلبه نحونا. لكن ما نلحظه هنا هو اختلاف وظيفة أو عمل أو دور المسيح من مرحلة إلى مرحلة ومن موقف إلى موقف.

ففي (تكوين ٢٨) في بيت إيل نرى المسيح الرأس. رأس الكنيسة والذي لا يشاركه في هذا المركز أي رأس آخر. الكنيسة عمود الحق وقاعدته والمرموز لها بالعمود الذي نصبه يعقوب ومسحه. المسيح الذي هو فوق الجميع.

كان الله واقفًا على رأس السُلَّم، وهو رمز للمسيح الحال وسط شعبه كجماعة في بيته.

COPYRIGHTED

لكـن في (تكويـن ٣٢) في مَخاضـة يبُّـوق نـرى المسـيح راعـي الخـراف. الراعـي الـذي يرعـى خرافـه في البريَّـة. والخـراف تتَّسـم بالغبـاء ولهـذا يتطلَّـب الأمـر أحيانًـا صراعًـا قويًـا لـكي يتـم تقويمهـا وتهذيبهـا. إنهـا صـورة للمعامـلات الفرديـة في البريَّـة، والتـي بهـا يشـكِّل اللـه الإنـاء وينقِّيـه.

كان يعقـوب فرحـاً ومعتـزاً بالعصـا التـي معـه (بعَصـاي عَـبرَت الأردن). لكـن اللـه راعـي الخـراف كان يريـد أن يقـول لـه أنـا كـمان عنـدي عَصـا، وأي راعـي عنـده عَصـا، وأعـرف أن أهـذِّب وأقـوِّم الخـراف. لكـن مـا أروع هـذا الراعـي وأطيبـه، فـما أن انخلـع حـق فخـذ يعقـوب وأصبـح يخمـع (يعـرج) أخـرج لـه الراعـي العُـكَّاز، وباركـه هنـاك.

وبركـة الـرَّب يـا صديقـي هـي أعظـم وأقـوى عُـكاز يمكـن أن ترتكز وتسـتند عليـه في حياتـك. وكأن اللـه يقـول لـه: انتهـى عمـل العصـا وبـدأ عمـل العُـكَّاز «عَصَـاكَ وَعُـكَّازُكَ هُـمَا يُعَزِّيَانِنِـي.» (مزمـور ٢٣: ٤). وفيـما يـلي سـأسرد لـك عزيـزي القـارىء بعـض السِّـمات العظيمـة في هـذا المُصـارِع العَظيـم.

• **أولاً:** حنانـه. فهـو لم يـضرب يعقـوب الضَّربـة القاضيـة كـما نـرى في حلبـات المُصارعـة اليـوم، لكنـه فقـط لمس حُـقّ فَخـذه (Just touch) وصدقًـا تعجَّبـت جـدًا، فمـن واقـع عملي أقـول إن حُقّ الفَّخذ لـكي ينخَلع يتطلـب إصابـة قويَّـة وضربـة عنيفـة في وضـع معـين -كحـادث تصـادُم سـيارة سريعـة الانطـلاق- وهنـا أرى رقَّة اللـه وحنانه أثناء تشـكيل الإناء وتنقيتـه. فعندمـا يصنـع أمرًا موجعًـا -لأنه حتميّ لفائدتنـا- فإنَّه يصنعه برفق.

COPYRIGHTED

• **ثانيًا:** طيِّب القلب ويتأثَّر جدًا لدموعنا. فقد استطاع يعقوب في قلب الصِّراع أن يغلب الله بدموعه عندما بكى واسترحمه «جَاهَدَ مَعَ الْمَلاَكِ وَغَلَبَ. بَكَى وَاسْتَرْحَمَهُ.» (هوشع ١٢: ٤)

• **ثالثًا:** صلاح مقاصده. فقد خلع حق فخذ واحد فقط وليس الاثنين (Unilateral not bilateral) نعم أرى مقاصد الله الصالحة. فالله كان يبغي تهذيبه وليس تكسيحه. لم يكن الله يبغي أن يجعله قعيدًا باقي حياته. لكنه فقط كان يريد أن يجعله يكف عن الاتكال على ذاته. وما أعظم العبارة الواردة في نهاية الصراع عن يعقوب «وَأَشْرَقَتْ لَهُ الشَّمْسُ إِذْ عَبَرَ فَنوئِيلَ وَهُوَ يَخْمَعُ عَلَى فَخْذِهِ» (تكوين ٣٢: ٣١). لقد أكمل المسير وعبر، ولم تنته حياته في مخاضة يبوق؛ لأن المُصارِع يعرف جيداً ماذا يصنع، ويعرف بالظَّبط أين سيضرب، وبأي قوة سيضرب؟.

• **رابعًا:** لم يرُد له حُقّ فَخذه مرة أخرى. وهنا أرى الله الذي لا يخطئ أبدًا. لو رد الله له حُقّ فَخذه مرة أخرى فهذا اعتراف ضمني أن الخَلع لم يكن ضروري بالقدر الكافي. والله ليس هكذا يا صديقي، فهو لا يسمح لنا باجتياز الألم عبثًا أو دون احتياج أو خطأ منه في تقدير الموقف. صديقي، امتلك هذا اليقين الصَّادق أن الله لا يخطئ أبدًا مهما بدا الأمر مؤلمًا ومحيِّرًا ومهما بدا لغزاً بالنِّسبة لك.

• **خامسًا:** أرى المُصارِع الضَّامن. الذي لم يرد حق فخذ يعقوب مرة أخرى، ليس لأنه قاسٍ يريد أن يجعله يعيش بعاهة مستديمة، ولكن لكي يضمن عدم رجوعه للاتِّكال على ذاته مرة أخرى، لكي

COPYRIGHTED

يضمن عدم رجوعه للخلف مرة أخرى. لكي يحفظه من التَّقهقُر والعودة إلى الوراء.

• **سادسًا:** إصراره على تحقيق أهدافه. لم ييأس أو يتراجع عندما وجد يعقوب معاندًا مقاومًا مجاهدًا. صديقي، إنه لا يكلّ ولا يملّ ولا يعيا. وإذا بدأ يصارع مع روحك ونفسك في أمور أنت تعملها، تخلَّى عنها بسهولة لأنه لن يتركك أبدًا حتَّى تتخلَّى عنها.

صديقي العزيز، يا من تعثَّرت في هذا المُصارِع العظيم. لا تأخذ الأمور بنظرة سطحيَّة عابرة. لكن ابحث وحلِّل جذور المواقف والأفعال حتَّى ترى الأمور على حقيقتها.

COPYRIGHTED

يا أرضي اتهَدِّي، حبيبي ماسِك يَدِّي

• مـن النَّاحيـة العلميَّـة تُعَـد عَظْمـة الفَخـذ أطـول وأكـبر وأصلـب عَظْمـة في جسـم الإنسـان، حتَّـى أنهـا تسـتطيع أن تتحمَّـل ضغـط وزن يصـل إلى ١٠٠٠ كجـم. كـما أنهـا في صلابتهـا تُقـارَن بصلابـة بعـض أنـواع الصُّخـور. والعجيـب أن هـذه العَظْمـة تظـل محتفِظـة بصلابتهـا طالمـا ظلَّـت بمكانهـا داخـل حُـقّ الفَخـذ، لكـن مـا أن تنخلـع مـن مكانها ينقطـع إمدادهـا بالـدَّم وتبـدأ تدريجيًـا بالتـآكُل والذَّوبـان. حتَّـى أن الأطبَّـاء في بعـض حـالات خَلـع الفَخـذ المتأخِّـرة لا يـرَون رأس عَظْمـة الفَخـذ في الأشـعة لأنهـا تآكلـت وذابـت واختفـت.

ويـا لـه مـن درس هـام جـدًا. اللـه يسـتطيع أن يليِّن صلابتـك، اللـه يسـتطيع أن يذيـب تحجُّـرك. اللـه يسـتطيع أن يكـسر عنـادك. لكنـه يصـبر ويطيـل أناتـه لأنـه لا يريـد أن يؤلمـك ويوجعـك.

إن ألم خَلـع حُـقّ الفَخـذ عنيـف جـدًا لدرجـة أنـه أبـكى يعقـوب. وهنـا اقـف متسـائلًا، ألا توجـد طريقـة أخـرى لإذابـة التحجُّـر وكـسر العنـاد إلا الألم والوجـع والبـكاء؟ وأكاد أسـمع اللـه يجيـب: يوجـد، «كلمتـي» مطرقـة تحطِّـم الصَّخـر. وأنـت مـن تختـار أيّ الطَّريقتـين تريـد، يـدي أم كلمتـي؟.

• لـدى كل إنسـان إثنـان مـن حُـقّ الفَخـذ، يعمـلان بمثابـة ميـزان للجسـم. هـما عبـارة عـن نقطتـان للارتـكاز، ويتـم توزيـع وزن الجسـم بالتَّسـاوي عليهـما مـما يحفـظ اتـزان جسـم الإنسـان أثنـاء المـشي، فـلا يسـقط. لكـن بعـد خَلـع حُـقّ فَخـذ يعقـوب، فقـد نقطـة مـن نِقـاط

COPYRIGHTED

ارتكازه، وبالتَّالي اختلَّ اتِّزانه مؤقَّتًا. لكنه بسرعة بكى من الألم واسترحم الله. فأتى الله وأمسك به وأصبح الله بالنِّسبة ليعقوب نقطة ارتكازه الثَّانية واستعاد له اتِّزانه مرة أخرى. وأدرك يعقوب أنه في أي لحظة سيبتعِد عن الله، سيختل اتزانه ويسقط.

في الأول كان يعقوب ماشي يقول بعصاي عَبرَت الأردن وكأنه يقول: «يا أرض اتهدِّي، ما عليكي قدِّي». لكن بعد ما عَبرَ مَخاضة يبُّوق وهو يخمع، أتخيَّله يقول: وأسعى ضعيفًا وأستند عليك .. حتَّى كل المجد يرجعُ إليك، أو بقولٍ آخر: « يا أرض اتهدِّي، حبيبي ماسِك يدِّي».

وما أبعد الفارق بين الحالتين واللَّهجتين عزيزي القارئ. إذا كنت متخيِّلاً أنَّك محتفظ باتِّزانك إلى الآن بقدرتك، أو لأنك واخد بالك ومنتبه جيداً، أو لأنك شطور، فأنت واهم. أنت مُتَّزن إلى الآن لأنك محفوظ ومحروس بقوَّة الله. وإذا سقطت لن تنطرح، مش لأنَّك شطُّور، لكن لأن الرَّب مُسنِد يدك. «إِذَا سَقَطَ لاَ يَنْطَرِحُ لأَنَّ الرَّب مُسْنِدٌ يَدَهُ.» (مزمور ٣٧: ٢٤).

• أخيرًا وليس آخِرًا أقول: بكى يعقوب واسترحم الله، والله سمع له. قد تسألني كيف سمع له دون أن يتدخَّل ويرُد حُقّ فَخذه؟! معك حق، سؤال وجيه. وأقول لك: سمع الله له وباركه. لقد كانت طلبة يعقوب «لاَ أُطْلِقُكَ إِنْ لَمْ تُبَارِكْنِي» (تكوين ٣٢: ٢٦)، وكانت إجابة الرَّب «وَبَارَكَهُ هُنَاكَ». ومخلوع الفَخذ مُبارَك خير من مردود الفَخذ غير مُبارَك.

COPYRIGHTED

لكن يحضُرني موقف آخر فيه استرحم يوسف إخوته، لكن ما أبعد الفارق يا صديقي «حَقّاً إِنَّنَا مُذْنِبُونَ إِلَى أَخِينَا الَّذِي رَأَيْنَا ضِيقَةَ نَفْسِهِ لَمَّا اسْتَرْحَمَنَا وَلَمْ نَسْمَعْ. لِذَلِكَ جَاءَتْ عَلَيْنَا هَذِهِ الضِّيقَةُ» (تكوين ٤٢: ٢١). يا له من رد فعل قاسٍ جدًا من إخوته.. لم نسمع!

ما أبعد الفارق بين أن تطلب رحمة الله وبين أن تطلب رحمة النَّاس. مراحم الأشرار قاسية. لكن، هناك شخص عظيم رحيم في الغضب يذكر الرحمة. اطلب مراحمه بثقة ويقينًا ستجدها، وستجدها جديدة في كل صباح. ستنال رحمة وتجِد نعمة، عَونًا في حينه.

REMOD

COPYRIGHTED

الجزء الرابع

خَلْع حُقّ الفَخذ، وخَلْع الإنسان العتيق

في خَلع الرَّب لحق فَخذ يعقوب أرى الحقيقة الصَّريحة الواردة في العهد الجديد ألا وهي خَلع الإنسان العتيق.

• في سؤال الرَّب ليعقوب «ما اسمك؟» وإجابته «يعقوب»، أرى يعقوب يخلع العتيق، يخلع رداء عيسو (الجسد) الذي كان قد ارتداه خداعًا ومكرًا عندما كذب على إسحاق أبيه واستغلَّ ضعف عينَيه. أراه يخلع أساليب الجسد وحيَّله وأفكاره ولفُّه ودورانه وتظاهره بغير حقيقته، وكذبه وفساده وذكائه. كما أرى ظلال الكلمات الواردة «أَنْ تَخْلَعُوا مِنْ جِهَةِ التَّصَرُّفِ السَّابِقِ الإِنْسَانَ الْعَتِيقَ

COPYRIGHTED

الْفَاسِدَ بِحَسَبِ شَهَوَاتِ الْغُرُورِ» (أفسس ٤: ٢٢). أو تلك الواردة «لاَ تَكْذِبُوا بَعْضُكُمْ عَلَى بَعْضٍ، اذْ خَلَعْتُمُ الإِنْسَانَ الْعَتِيقَ مَعَ اعْمَالِهِ» (كولوسي ٣: ٩).

• وفي قول الرَّب له: «لاَ يُدْعَى اسْمُكَ فِي مَا بَعْدُ يَعْقُوبَ بَلْ إِسْرَائِيلَ لأَنَّكَ جَاهَدْتَ مَعَ اللهِ وَالنَّاسِ وَقَدِرْتَ» (تكوين ٣٢: ٢٨) أراه يلبس الجديد، إسرائيل، أمير الله. وأرى ظلال الكلمات الخالدة «وَتَلْبَسُوا الإِنْسَانَ الْجَدِيدَ الْمَخْلُوقَ بِحَسَبِ اللهِ فِي الْبِرِّ وَقَدَاسَةِ الْحَقِّ.» (أفسس ٤: ٢٤)، أو «وَلَبِسْتُمُ الْجَدِيدَ الَّذِي يَتَجَدَّدُ لِلْمَعْرِفَةِ حَسَبَ صُورَةِ خَالِقِهِ» (كولوسي ٣: ١٠)

لكن تحضُرني قصَّة بديعة حدثت في سفر الخروج أثناء خروج شعب الله من أرض مصر، ستجسِّد وتقرِّب لك عزيزي القارئ معنى خَلع الإنسان العتيق بصورة أوضح.

خرج فرعون -رمز للشَّيطان- غاضبًا بفرسانه الهائجة الثَّائرة ومركباته المجهَّزة ليلحق بشعب إسرائيل ويسترجعهم إلى أرض مصر مرة أخرى. وبالمنطق من حيث السُّرعة والقدرة فإنه حتمًا سيلحق بهم. فالفَرَس أسرع من الإنسان. لكن الله تدخَّل تدخُّلًا عجيبًا أثار دهشتي وحيرتي. لقد خَلَع بكَر المركبات «وَخَلَعَ بَكَرَ مَرْكَبَاتِهِمْ حَتَّى سَاقُوهَا بِثَقْلَةٍ.» (خروج ١٤: ٢٥). يا له من فعلٍ عجيب، فقد ترك الرَّب الفَرَس بكامل هيجانه وعنفوانه، وترك فرعون بكامل غضبه وثورته. لكن المركبات لم تعُد تتحرَّك بذات السُّرعة رغم عنف سحب وجذب الفَرَس لها، لأن البكر قد انخلع من مكانه. ما أقوى هذا التَّعبير «سَاقُوهَا بِثَقْلَةٍ!! لم يكن خلع حق فخذ يعقوب

COPYRIGHTED

مجد فقد لجزءٍ من جسده، لكنه كان فقد لجزءٍ من وظائفه وقدراته وإمكانياته، لقد فقد ٥٠٪ من قدراته الحركية، الله أحياناً يُضاعِف وأحياناً أخرى يُضعِف، لكنه في الحالتين يبارك.

وهذا هو بالضَّبط ما حدث معنا عندما خلعنا الإنسان العتيق عزيزي القارئ. أصبحت الخطيَّة ثقيلة على قلوبنا بعد أن كنا سابقًا مَذلولين مُستَعبدين لها كالباقين. أصبحت ثقيلة بعد أن كنا نركض مع الرَّاكضين إلى فَيض الخلاعة. هناك شيء ما انخلع في الكيان الدَّاخلي أحدث تغييرًا جذريًا عميقًا في التَّوجُّهات والتَّصرُّفات.

وهذا أيضًا بالضَّبط ما حدث مع يعقوب هنا عندما انخلع حُقَّ فَخذه. لم تعُد حركته خفيفة كما كانت سابقًا. لقد حدث تغيير جذري مُستديم في حياته ووضع الرَّب في تلك اللَّيلة الرَّهيبة نقطة فاصلة بين ماضيه وحاضره. لا يُدعى اسمك فيما بعد يعقوب بل إسرائيل، «فيما بعد» ما أقوى هاتينَ الكلمتين وما أعظم مدلولهما.

في الخِباء، هناك أشياء تغطِّيها عادة النِّساء

في (تكوين ٣١) ترِد حادثة غنيَّة بالدُّروس نخسر كثيرًا إذ لم نقِف عندها. سعى لابان خلف يعقوب عندما هرب يعقوب تاركًا إيَّاه دون أن يخبره. وعندما أدركه عاتبه، ومن ضمن العتاب قال له: « لِمَاذَا سَرَقْتَ آلِهَتِي؟» (تكوين ٣١: ٣٠). أمام هذا الاتهام سمح له يعقوب أن يفتِّش خيامه ليتحقَّق. وتأتي هذه العبارة البديعة «

COPYRIGHTED

فَدَخَلَ لاَبَانُ خِبَاءَ يَعْقُوبَ وَخِبَاءَ لَيْئَةَ وَخِبَاءَ الْجَارِيَتَيْنِ وَلَمْ يَجِدْ. وَخَرَجَ مِنْ خِبَاءِ لَيْئَةَ وَدَخَلَ خِبَاءَ رَاحِيلَ. وَكَانَتْ رَاحِيلُ قَدْ أَخَذَتِ الأَصْنَامَ وَوَضَعَتْهَا فِي حِدَاجَةِ الْجَمَلِ وَجَلَسَتْ عَلَيْهَا. فَجَسَّ لاَبَانُ كُلَّ الْخِبَاءِ وَلَمْ يَجِدْ. وَقَالَتْ لأَبِيهَا: «لاَ يَغْتَظْ سَيِّدِي أَنِّي لاَ أَسْتَطِيعُ أَنْ أَقُومَ أَمَامَكَ لأَنَّ عَلَيَّ عَادَةَ النِّسَاءِ». فَفَتَّشَ وَلَمْ يَجِدِ الأَصْنَامَ.» (تكوين ٣١: ٣٣-٣٥).

خِباء، خِباء يعقوب، خِباء ليئة، خِباء راحيل. لقد دخل لابان إلى العمق لكنه لم يجِد الأصنام. فهل بالفعل لم يكن هناك أصنام؟ كلا. لقد سَرَقت راحيل أصنام أبيها ووضعتها في حداجة الجمل وجلست عليها وتعلَّلت بأنها لا تستطيع أن تقوم لأن عليها عادة النِّساء. لقد كانت هناك في عُمق الخِباء أصنام لكن يعقوب لم يكن يعلم « وَلَمْ يَكُنْ يَعْقُوبُ يَعْلَمُ أَنَّ رَاحِيلَ سَرَقَتْهَا» (تكوين ٣١: ٣٢)، ولابان لم يستطع أن يجد «فَفَتَّشَ وَلَمْ يَجِدِ الأَصْنَامَ.» (تكوين ٣١: ٣٥). في الخِباء هناك أشياء تغطِّيها عادة النِّساء.

أليست هذه هي حالة قلب الإنسان عزيزي القارئ. في العُمق، في الخِباء حيث تُدفِن وتُخفي أمورًا وأوثانًا وأصنامًا، يبرِّرها لك قلبك بعادات وآليات دفاعية خادعة حتَّى أنك مع الوقت تتواءَم معها ولا تجِدها غريبة ومع العمر تدفِن هذه الأشياء في أعماق أعماق قلبك ولن تعود حتَّى تعلم أنها موجودة من طول مُدَّة التَّعايش معها.

هل من حل لهذه المُعضِلة الكُبرى؟ وإذا كان بالفعل هناك حل، فما هو؟ لا تخَف يا صديقي هناك بالتَّأكيد حل. يقول الكتاب

COPYRIGHTED

المقدس « اَلْقَلْبُ أَخْدَعُ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ نَجِيسٌ مَنْ يَعْرِفُهُ! أَنَا الرَّب فَاحِصُ الْقَلْبِ مُخْتَبِرُ الْكُلَى لأُعْطِيَ كُلَّ وَاحِدٍ حَسَبَ طُرُقِهِ حَسَبَ ثَمَرِ أَعْمَالِهِ. (إرميا ١٧: ٩-١٠).

الرَّب هو الحل يا صديقي، ولا يوجد حلٌّ سواه حتَّى لا تُتعِب نفسك. لا أساتذة مشورة ولا أطبَّاء نفسيِّين -مع كامل احترامي وتقديري لهم- سيستطيعون أن يصلوا لأعماق قلبك ويشرحوه لك، الرَّب فقط هو مَن يقدر أن يفعل هذا. مِن الممكن أن تقول لي هل سيستطيع الرب أن يجعل راحيل تقوم من على الجمل؟! أضحكتني يا صديقي السائل!. بالطبع سيستطيع. اقرا معي هذه الآية حتى تعرف هل سيستطيع الله أم لا! «فَمَاتَتْ رَاحِيلُ وَدُفِنَتْ فِي طَرِيقِ أَفْرَاتَةَ» (تكوين ٣٥: ١٩). الله ليس فقط أقام راحيل من فوق الجمل، لكنه أخرجها كلها من الخيمة. وكأنَّه يريد أن يقول ليعقوب فيه حاجات جوَّه قلبك، جوَّه الخِباء بتخدعك، الحاجات دي لازم تموت. استطاع الله يا صديقي أن يصِل حيث لم يستطِع كِلًا من يعقوب ولابان أن يصلوا.

صديقي، جَسَّ لابان أثاث يعقوب ولم يستطِع أن ينتزع الأصنام لأنه لم يجد الأصنام «إِنَّكَ جَسَسْتَ جَمِيعَ أَثَاثِي.» (تكوين ٣١: ٣٧). ومسَّ الله حُقّ فَخذ يعقوب فاستطاع أن يخلعه ويخلع معه اتِّكاله على ذاته ويعالجه.

صديقي، أدعوك اليوم بدلًا من أن تدعو لابان أن يفتِّش الخِباء، أن تأخذ قلبك وتذهب إلى الله، وبصدق تقول له لقد فشلت في فَهم هذا الشَّيء، وكلما ظننت نفسي أفهمه أكتشف أنِّي

COPYRIGHTED

مخـدوع. «اخْتَـبِرْنِي يَـا اللـهُ وَاعْـرِفْ قَلْبِـي. امْتَحِنِّـي وَاعْـرِفْ أَفْـكَارِي. وَانْظُـرْ إِنْ كَانَ فِيَّ طَرِيـقٌ بَاطِـلٌ وَاهْـدِنِي طَرِيقـاً أَبَدِيّـاً.» (مزمـور ١٣٩: ٢٣-٢٤)

غيرة مُقدَّسة أم ثورة غير مُقدَّسة؟

دقَّ ناقـوس الخطـر واقتربـت اللَّحظـة الحاسـمة، لحظـة المواجهـة مـع عيسـو الغاضـب الثَّائـر الـذي يريـد أن ينتقـم مـن يعقـوب. وقبـل أن أتحـدَّث عـن هـذه اللَّحظـة المُشـبَّعة بالـدُّروس الهامَّـة، علـيَّ أن أجيـب أولًا عـلى سـؤال في غايـة الأهميَّـة، ألا وهـو: لمـاذا كان عيسـو غاضبًـا مـن يعقـوب ويريـد أن يقتلـه؟

والإجابـة السَّريعـة المبـاشرة هـي، لأن يعقـوب سرق منـه البركـة، إذًا أسـأل مجـدَّدًا هـل كان عيسـو غاضبًـا لضيـاع البركـة؟ أقـول بالطبـع لا، مُطلقًـا؛ لأن عيسـو مُسـتبيح تافِـه لم يُثمِّـن أو يُقـدِّر قيمـة البركـة أو البُكوريـة، أو ليـس هـو مـن بـاع البُكوريـة مـن ذاتـه بإرادتـه دون أن يسرقهـا أحـدٌ منـه! فلـماذا إذًا أراه ثائـرًا غاضبًـا؟ وللإجابـة أقـول لم يكُـن عيسـو قـط غاضبًـا لضيـاع بركتـه ولكنـه كان غاضبًـا لضيـاع كرامتـه، والفـارق شاسـع يـا صديقـي. هـذا هـو الجسـد المُتمركِـز حـول ذاتـه والـذي يحمـل كرامتـه عـلى طراطيـف أنفـه. كانـت مشـكلة عيسـو القاتلـة وجرحـه الغائـر هـو شـعوره بـأن أخـاه الأصغـر اسـتغفله، أو بالبلـدي (ضربُـه عـلى قَفـاه). ولهـذا كان يريـد أن يثـأر وينتقـم لنفسـه ليسـترد كرامتـه واعتبـاره. إنهـا ثـورة الجسـد أو بمعنـى آخـر الثَّـورة الغـير مقدَّسـة.

COPYRIGHTED

وأراهم اليوم يثورون ثورة عارمة والغضب يملأ الكؤوس لأن أحدهم بوعي أو دون وعي أسقط صليبًا حجريًا من على قُبَّة كنيسة -وبالطبع هذا فعل مُلام- لكني أناقش وأحلِّل اليوم رد الفعل وليس الفعل. يخلطون المعاني ويمزجون الغثَّ بالثَّمين ويُسَمُّون غضبهم غيرة مقدَّسة. ما أكثر هذا في هذه الأيام! أقنعة روحيَّة لأفعال جسديَّة.

وأنا أريد أن أخترقك عزيزي القارئ بهذا السُّؤال: هل هذا الغضب غيرة مقدَّسة أم ثورة جسديَّة؟ هل هو غيرة مقدسَّة أكلتهم من الدَّاخل لأنهم بالفعل يُثَمِّنون بيت الله ويدركون بعمق قيمة ومعنى الصَّليب أم ثورة جسديَّة لأن كرامتهم الدينيَّة قد جُرِحَت وخُدِشَت؟ هل غضبوا لأجل الله ومجده أم لأجل ذاتهم وكرامتهم؟ اختبرنا يا الله.

لكن أعود سريعًا إلى يعقوب والذي أصبح في موقف لا يُحسَد عليه. عَبَّر الرُّوح القدس عن هذا الموقف بهذه الكلمات: «فَخَافَ يَعْقُوبُ جِدّاً وَضَاقَ بِهِ الأَمْرُ.» (تكوين ٣٢: ٧). كان فاكر إنه بهروبه عند خاله لابان ستُفرَج، لكنه اكتشف إنها ضاقت جدًا. وهذا هو الحال دائمًا وأبدًا يا صديقي، كلما سلكت بالجسد وأساليبه وأفكاره (ستتعقَّد الأمور أكثر). ولكي تعرف يا صديقي درجة ضيق الموقف الذي كان فيه يعقوب وشدة خطورته، فقط تأمَّل ما فعل أبرام والثلاثة مئة وثمانية عشر من غلمانه بأربعة جيوش، وكيف سحقهم واستردَّ إبرام لوطًا ابن أخيه وزوجته وأولاده. وبعدها تخيَّل ماذا يمكن أن يفعل عيسو وبصحبته أربعمائة رجل بيعقوب!

COPYRIGHTED

يا له بالفعل من موقف ضيِّق جدًا وخطر جدًا في وقت فيه يعقوب ضعيف يخمَع، أي ليس حتَّى بقوته التي كان عليها منذ عشرين سنة. تلك السِّنين التي فيها زادت قوَّة عيسو، وفيها زاد ضعف يعقوب. فيا لها من ورطة حقًّا.

الادِّعاء الكاذب، عيسو يواجِه عيسو

هل يستطيع الله أن يعالج (النَّفخة الكذَّابة)؟ أو من يقول عنهم الكتاب المقدَّس «هُوَذَا مُنْتَفِخَةٌ غَيْرُ مُسْتَقِيمَةٍ نَفْسُهُ فِيهِ.» (حبقوق ٢: ٤) هل يستطيع الله أن يكشف حقيقة ما ندَّعيه عن أنفسنا؟ نعم، بكل تأكيد يستطيع، بأن يجعلنا نواجه ادِّعاءاتنا. ويا لها من طريقة فعَّالة، كثيرًا ما يستخدمها الله معنا دون أن ندري!

ادَّعى يعقوب يومًا كَذِبًا أنه عيسو، عندما قال لأبيه: «أنا عيسو بكرك». قالها دون أن يدري توابعها. ودارت الأيَّام ووجد نفسه في مواجهة صعبة كان من الممكن أن تكون دامية مع عيسو الحقيقي لولا ستر ربنا، وكأن ربِّنا عايز يقوله: اتفضَّل واجه عيسو يا عيسو -يعقوب- أرني كيف ستتصرف؟!

هل تعلم عزيزي القارئ ماذا كان رد فعل يعقوب أمام هذا التعامل الإلهي الكاشف؟ بمجرَّد أن جاءته الرِّسالة بأن عيسو قادم للقائه ومعه أربعمائة رجل (رُكَبُه سابِت وخبَّطِت في بعضها)، وجري سريعاً الى ربِّنا وقال له: «نَجِّنِي مِنْ يَدِ أَخِي مِنْ يَدِ عِيسُوَ لأَنِّي خَائِفٌ مِنْهُ أَنْ يَأْتِيَ وَيَضْرِبَنِي الأُمَّ مَعَ الْبَنِينَ.» (تكوين ٣٢: ١١).

COPYRIGHTED

ياه يا يعقوب، انت طلِعت غلبان قوي!! أو بالبلدي (طلِعت بُق). اكتشف أن الكلام في الوَسَع سهل لكن في الضيَّق والجد الموقف يختلف، واكتشف أن عصاه التي كان يتفاخر بها، وبها عَبرَ الأردن وكان فاكرها ياما هنا ياما هناك ليس لها قيمة ولن تجدي نفعاً في كل المواقف، واكتشف أنه في الحقيقة صُغيَّر، وإنُّه كان معطياً لنفسه حجماً أكبر من حجمه، وكان (منفوخ ع الفاضي). اكتشف إنه قُلِّيل «كَدَّرْتُمَانِي... وَأَنَا نَفَرٌ قَلِيلٌ.» (تكوين ٣٤: ٣٠)

لقد استطاع هذا اللِّقاء وهذه المواجهة أن تستعيده لحجمه الطَّبيعي، وأن تقلِّص حدوده الذَّاتيَّة (his Ego) أو إن جاز أن أقول «تأرطَف ريشُه». ونصيحة مخلصة أقولها لإخوتي -إن جاز لي أن أنصح- يا مَن تخال نفسك كبير قوي وفاهم قوي وقادر قوي وذكي قوي وناصح قوي. يا مَن تزهو بنفسك وبنجاحاتك ولسان حالك أنا عملت وسوِّيت وحقَّقت ووصلت (عَبرَت الأردن وصِرت جَيشينَ)، خايف عليك من الصَّدمة التي سوف تأخذها لمَّا المواقف التي سوف يسمح لك الله بإجتيازها تكشف لك إنك صفر كبير قوي.

لكن أمانة الله لم تتركه. كشفته لكن حفظته أيضًا وهذا ما سنراه في الصَّفحات القادمة.

COPYRIGHTED

REMOON

COPYRIGHTED

الجزء الخامس

وكانت يدُ الرَّب على إيليَّا، فشَدَّ حَقوَيه

رأينا في الأجزاء السَّابقة الرَّب وهو يصارع يعقوب لكي يسحب منه قوته الذاتيَّة ورأينا كيف كان يعقوب عنيدًا صلبًا مما جعل مصارع مَخاضة يَبُّوق يضرِب حُقّ فَخذ يعقوب ليخلعه.

لكن في هذا الجزء أريد أن أستعرض أمامك شخصيَّة أخرى، نوعيَّة أخرى من المؤمنين أملًا أن تجذبك وتستثير غيرتك. شخص وضع الله يده عليه لا ليخلع حُقّ فَخذه، ولكن ليقوِّيه ويشدِّده.

ما أكبر الفارق بين إيليَّا ويعقوب. ما أبعد الفارق بين إيليَّا الذي ذهب ليختبئ عند نهر كريث ويعقوب الذي هرب ليختبئ

COPYRIGHTED

في حاران. ما أبعد الفارق بين إيليَّا المُرسَل إلى أرملة صرفة صَيدا طاعة للرَّب ويعقوب المُرسَل إلى لابان طاعة لرفقة.

ما أبعد الفارق بين مسّ الرَّب ليعقوب ومسّ الرَّب لإيليَّا. مسّ الرَّب يعقوب ليسحب منه قوته الذاتيَّة، ومسَّ الرَّب إيليَّا ليشجِّعه ويقوِّيه ويطمئنه. مسَّ الرَّب يعقوب مرَّة واحدة فجعل يعقوب يخمَع، ومسَّ إيليَّا مرَّتين ويقول الكتاب عن إيليَّا: « وَاضْطَجَعَ وَنَامَ تَحْتَ الرَّتَمَةِ. وَإِذَا بِمَلاَكٍ قَدْ مَسَّهُ وَقَالَ: [قُمْ وَكُلْ]. فَتَطَلَّعَ وَإِذَا كَعْكَةُ رَضْفٍ وَكُوزُ مَاءٍ عِنْدَ رَأْسِهِ، فَأَكَلَ وَشَرِبَ ثُمَّ رَجَعَ فَاضْطَجَعَ. ثُمَّ عَادَ مَلاَكُ الرَّب ثَانِيَةً فَمَسَّهُ وَقَالَ: [قُمْ وَكُلْ لأَنَّ الْمَسَافَةَ كَثِيرَةٌ عَلَيْكَ]. فَقَامَ وَأَكَلَ وَشَرِبَ، وَسَارَ بِقُوَّةِ تِلْكَ الأَكْلَةِ أَرْبَعِينَ نَهَاراً وَأَرْبَعِينَ لَيْلَةً إِلَى جَبَلِ اللَّهِ حُورِيبَ» (١ ملوك ١٩: ٥-٨).

مسَّ الرَّب يعقوب فخلع حُقّ فَخذه وعَبرَ مَخاضة يَبوق وهو يخمَع. ووضع الرَّب يده على إيليَّا فشد حقويه فركض أمام أخاب «وَكَانَتْ يَدُ الرَّب عَلَى إيليَّا، فَشَدَّ حَقْوَيْهِ وَرَكَضَ أَمَامَ أَخْآبَ حتَّى تَجِيءَ إِلَى يَزْرَعِيلَ.» (١ ملوك ١٨: ٤٦).

ما أبعد الفارق بين لابان الذي تغير مع يعقوب عن أمس وأول من أمس، والغربان التي لم تتغيَّر أو تقصِّر مع إيليَّا ولو حتَّى مرَّة واحدة حتَّى تركها إيليَّا وذهب إلى أرملة صرفة صَيدا.

عزيزي القارئ، دعني أخبرك السِّر وراء الاختلاف بين الإثنين. السِّر هو أن إيليَّا كان يرتدي على حقوية منطقة من جلد (إيليَّا كان

COPYRIGHTED

مـاشي عـدِل). «فَقَـالَ لَهُـمْ: [مَـا هِيَ هَيْئَـةُ الرَّجُـلِ الَّـذِي صَعِـدَ لِلِقَائِكُمْ وَكَلَّمَكُـمْ بِهَـذَا الْـكَلاَمِ؟] ٨فَقَالُـوا لَهُ: [إِنَّهُ رَجُلٌ أَشْـعَرُ مُتَنَطِّقٌ بِمِنْطَقَةٍ مِنْ جِلْـدٍ عَـلَى حَقْوَيْـهِ]. فَقَالَ: [هُـوَ إِيلِيَّا التِّشْـبِيُّ].» (٢ ملـوك ١: ٧-٨).

منطقـة مـن جلـد ذكَّرتنـي بأقمصـة مـن جلـد صنعها الـرَّب وألبسـها لآدم وحـواء بنفسـه في الجنـة. إنهـا تكلمنـا عـن المسـيح الذبيـح، وكأن إيليَّـا بلغـة العهـد الجديـد يتمنطـق بمنطقـة الحـق «فَاثْبُتُـوا مُمَنْطِقِـينَ أَحْقَاءَكُـمْ بِالْحَـقِّ، وَلاَبِسِـينَ دِرْعَ الْـبِرِّ» (أفسـس ٦: ١٤). وكأنـه كان يلبَس المسـيح الـذي قـال عـن نفسـه: «أنـا هـو الحـق». ولهـذا كان يعيـش بالحـق ويمـشي بإسـتقامة، وليـس بإعوجـاج ولـف ودَوَران مثـل يعقـوب. كانـت سـلوكياته تشـهد عنـه دون أن يتكلَّـم. لقـد عرفـه ملـك السَّـامرة بمجـرَّد وصـف الرُّسـل لـه بأنـه رجـل أشـعر ومتمنطِّـق بمنطقـة مـن جلـد عـلى حقويـه، فقـال لهـم (هـو إيليَّـا التشـبي).

عزيـزي القـارئ، إن الفـارق بـين إيليَّـا ويعقـوب هـو الفـارق بـين الجبـل والـوادي. أحدهـما وقـف شـامخًا فـوق جبـل الكرمـل والآخـر وقـف خائفًـا في مَخاضـة يَبُّـوق.

كان إيليَّـا ابـن الأمَّـة الإسرائيليـة، ابـن يعقـوب لكنـه كان الابـن الـذي فـاق أبـاه بكثـير. وليـس ذلـك فقـط بـل والابـن الـذي في المسـتقبل سيسـتخدمه اللـه كشـاهد (روح إيليَّـا وقوتـه) ليسـترد أبـاه (الأمَّـة الإسرائيليَّـة).

عزيـزي القـارئ، هـل تعيـش وأنـت تركـض أم تخمـع؟ أي الإثنـين تريـد أن تكـون؟ أي الحياتـين تريـد أن تحيـا؟

COPYRIGHTED

منطق غريب وعلاج أكيد .. الأعرَج المُنتصِر

صِدقًا تعجَّبت من طريقة استجابة الله لصرخة يعقوب: «نَجِّنِي مِنْ يَدِ أَخِي مِنْ يَدِ عِيسُوَ» (تكوين ٣٢: ١١). فمباشرة بعد أن صرخ يعقوب هذه الصرخة بدأ الله يصارعه ولم يتركه حتَّى خَلَع حُقّ فَخذه. يا للعجب من منطق الله. فالجيوش المقبلة على حرب تسعى لرفع مستوى قوَّتها، عن طريق شراء مدرَّعات ودبَّابات وصواريخ وعتاد حربيَّة، وترفع مستوى اللِّياقة والرُّوح المعنويَّة للجنود، وتنظِّم التدريبات لرفع كفاءة الضباط والجنود.

لكني رأيت الله هنا يستجيب صرخة يعقوب بطريقة تبدو عكسيَّة. كنت أتخيَّله سيتفاعل مع صرخة يعقوب (نجِّني)، ويمُد يده في الحال وينقذه كما فعل مع بطرس عندما صرخ ذات الصَّرخة: «يَا رَبُّ نَجِّنِي» (متى ١٤: ٣٠). لكني اكتشفت أن رد الفعل مختلف لأن طبيعة الصِّراع مختلفة، فبطرس كان يصارع الأمواج (العالم)، أما يعقوب فكان يصارع عيسو (الجسد). كنت أتخيل أن الله سيضاعف قوَّة يعقوب لكي يتمكَّن من مواجهة عيسو، لكنه في الواقع أضعَفَ قوة يعقوب، سحب منه قوَّته (خَلَع حُقّ فَخذه). أتعجَّب كل العَجَب وأنا أرى الله مُصارِعًا وليس مُنقِذًا.

منطق غريب لكنه بالطَّبع صحيح لأنه منطق الله. كل ما نحتاجه هو أن نفهم منطق الله حتَّى تتَّسع مداركنا وتستنير.

إن عيسو يرمز للجسد والمعركة مع عيسو إشارة للحرب مع الجسد، كما أن الغضب والسَّخط هما من أعمال الجسد كما

COPYRIGHTED

هـو وارد في (غلاطيـة ٥: ٢٠)، وهـذه الحـرب في الحقيقـة هـي للـرَّب وليسـت لنـا. فلـن نسـتطيع يـا صديقـي أن ننتـصر مُطلقًـا عـلى الجسـد بقوَّتنـا الدَّاخليـة. قـال الكتـاب: «اسْـلُكُوا بِالـرُّوحِ فَـلاَ تُكَمِّلُـوا شَـهْوَةَ الْجَسَـدِ.» (غلاطيـة ٥: ١٦)، «لأَنَّـهُ إِنْ عِشْـتُمْ حَسَـبَ الْجَسَـدِ فَسَـتَمُوتُونَ وَلَكِـنْ إِنْ كُنْتُـمْ بِالـرُّوحِ تُمِيتُـونَ أَعْـمَالَ الْجَسَـدِ فَسَـتَحْيَوْنَ.» (رومية ٨: ١٣). وهـذا مـا فعلـه هـذا المُصـارِع العظيـم، لقـد خلـع حُـقّ فَخـذه لـكي لا يسـتطيع أن يكمِّـل إرادتـه الذَّاتيَّـة (فـلا تكمِّلـوا). لـن تسـتطيع يـا يعقـوب مُجـدَّدًا أن تركـض مُسرعًـا كـما فعلـت في الأول عندمـا خدعـت أبـاك؛ تنفيـذًا لأوامـر رفقـة حتَّـى أن أبيـك نفسـه تعجَّـب مـن السُّرعـة التـي أحـضرت بهـا الطَّعـام «مَـا هَـذَا الَّـذِي أَسْرَعْـتَ لِتَجِـدَ يَـا ابْنِـي؟» (تكويـن ٢٧: ٢٠).

لقـد طلـب يعقـوب مـن اللـه أن ينجِّيـه مـن عيسـو دون أن يعلـم أنـه في المقـام الأول يحتـاج أن ينجـو مـن نفسـه. ينجـو مـن أرجلـه التـي أطاعتـه وحملتـه لفعـل الإرادة الذَّاتيَّـة بالاسـتقلال عـن اللـه. لقـد اسـتجاب اللـه طلبتـه ونجَّـاه ليـس فقـط مـن عيسـو، ولكـن أيضـاً مـن نفسـه. إنهـا معامـلات طويلـة وبعضهـا عنيـف يجيزنـا فيهـا اللـه لسـحب قوَّتنـا الذَّاتيَّـة وإبـادة حكمتنـا البشريَّـة «سَـأُبِيدُ حِكْمَـةَ الْحُكَـمَاءِ وَأَرْفُـضُ فَهْـمَ الْفُهَـمَاءِ» (١ كورنثـوس ١: ١٩).

لقـد أبـاد اللـه حكمـة رفقـة وفهمهـا وحكمـة يعقـوب وفهمـه وأوضح لهـما أن الغضـب والسَّـخط هـما مـن أفعـال الجسـد وأعـمال الجسـد تُمـات لا تُنـسي يـا رفقـة. وبالفعـل لم ينـسَ عيسـو مـا فعلـه معـه يعقـوب لكـن العجيـب هـو أنـه بالرَّغـم مـن أنـه لم ينـسَ فِعلـة يعقـوب

COPYRIGHTED

فإنه لم ينتقم من يعقوب. وأسأل أين ذهبت ثورة عيسو وسخطه وغضبه؟ أين ذهب شحن واحتقان العشرين سنة؟ الإجابة: مات. مازال عيسو (الجسد) حيًّا لم يمُت، لكن السَّخط (أعمال الجسد) مات، وانتصر الأعرَج.

يكفي عشرون سنة في ضياع يا يعقوب

كانت رحلة صعبة وكان طريقًا شاقًا مُرهقًا، ذهب فيه يعقوب بإرادته الذَّاتيَّة دون أن يستشير الرَّب ودون أن يأخذ موافقته، حتَّى أنه اعترف وقال: «لْنَقُمْ وَنَصْعَدْ إِلَى بَيْتِ إِيلَ فَأَصْنَعَ هُنَاكَ مَذْبَحاً لِلَّهِ الَّذِي اسْتَجَابَ لِي فِي يَوْمِ ضِيقَتِي وَكَانَ مَعِي فِي الطَّرِيقِ الَّذِي ذَهَبْتُ فِيهِ» (تكوين ٣٥: ٣). عبارة مليئة بنبرات الحزن والألم والنَّدم والأسى. أكاد أسمعه يقول (ياريتني ما كنت روحت).

ما أبعد الفارق بين يعقوب عندما ذهب في طريقه هاربًا من الضِّيق وبين هؤلاء الرجال -بنو الأنبياء- الذين تكلَّم عنهم الوحي عندما ذهبوا أيضًا في طريقهم هروبًا من الضِّيق وسَعيًا للحصول على مكان أرحب وأوسع، الذين لم يكتفوا بموافقة أليشع على الذِّهاب بل طلبوا أن يذهب هو بنفسه معهم! «وَقَالَ بَنُو الأَنْبِيَاءِ لأَلِيشَعَ: [هُوَذَا الْمَوْضِعُ الَّذِي نَحْنُ مُقِيمُونَ فِيهِ أَمَامَكَ ضَيِّقٌ عَلَيْنَا. فَلْنَذْهَبْ إِلَى الأُرْدُنِّ وَنَأْخُذْ مِنْ هُنَاكَ كُلُّ وَاحِدٍ خَشَبَةً، وَنَعْمَلْ لأَنْفُسِنَا هُنَاكَ مَوْضِعاً لِنُقِيمَ فِيهِ]. فَقَالَ: [اذْهَبُوا]. فَقَالَ وَاحِدٌ: [اقْبَلْ وَاذْهَبْ مَعَ عَبِيدِكَ]. فَقَالَ: [إِنِّي أَذْهَبُ].»

COPYRIGHTED

• بدأ يعقوب طريقه يبكي حُبًّا أمام حَسناء فدان أرام راحيل، وأنهى طريقه يبكي ألمًا أمام مُصارِع مَخاضة يَبُّوق.

• بدأ يعقوب طريقه وهو يستعرض قوَّته وشجاعته وعضلاته أمام راحيل «فَكَانَ لَمَّا أَبْصَرَ يَعْقُوبُ رَاحِيلَ بِنْتَ لاَبَانَ خَالِهِ وَغَنَمَ لاَبَانَ خَالِهِ أَنَّ يَعْقُوبَ تَقَدَّمَ وَدَحْرَجَ الْحَجَرَ عَنْ فَمِ الْبِئْرِ وَسَقَى غَنَمَ لاَبَانَ خَالِهِ.» (تكوين ٢٩: ١٠)، وأنهى طريقه وهو يكشف نفسه وضعفه وخوفه وعجزه أمام الله.

• بدأ يعقوب طريقه هَرَبًا من لقاء عيسو، وأنهى طريقه بلقاء عيسو. لقد عاد مُجدَّدًا إلى نقطة الصِّفر. عشرين سنة بيجري ويلف حوالين روحه وفي الآخر رجع لنفس النُّقطة اللي بدأ منها، وكأنِّي أسمعه يقول يا ليتني كنت صَلِّيت هذه الصَّلوة (نجِّني من يد أخي) منذ عشرين سنة، كنت قد وفَّرت على نفسي ألاماً كثيرة. هكذا من يسلك بحكمته وفطنته وذكائه بالاستقلال عن الله.

• بدأ يعقوب طريقه مُستنِدًا على عصاه، وأنهى طريقه مُستنِدًا على الرَّب.

• بدأ يعقوب طريقه بحلم جميل في بيت إيل وسُلَّم منصوبة، وأنهى طريقه بصراع عنيف في مَخاضة يَبُّوق وفَخذ مخلوع.

• بدأ يعقوب طريقه بشمس غائبة؛ لأن الشَّمس كانت قد غابت (تكوين ٢٨)، وأنهى طريقه بشمس مشرقة، وأشرقت الشَّمس له إذا عبر فَنوئيل وهو يخمَع (تكوين ٣٢).

COPYRIGHTED

• بدأ يعقوب طريقه ببركة إسحاق، وأنهى الطَّريق ببركة الله.

• بدأ يعقوب طريقه مُنتفِخ في ذاته (صِرتُ جَيشَينَ)، وأنهى طريقه باكتشاف حقيقة ذاته بأنه صَغير ونفر قَليل.

• أثناء الطَّريق طَمَرت راحيل الأصنام في حداجة الجمل (داخل الخِباء)، وفي نهاية الطَّريق طَمَر يعقوب الأصنام تحت البطمة التي عند شكيم (خارج الخِباء) ثم رحلوا. وعايز أقول لك: خُد بالك، إنت مش هاتضحك على ربِّنا. مش أي طَمر هاينفع مع ربِّنا، فيه حاجات غلط بتدفنها جوَّاك، جوَّه قلبك وربِّنا شايفها كوِّيس. ربِّنا لن يرضيع أقل من إنك تنزعها وتعزلها وتدفنها في التُّراب، وتتركها للأبد. كفاية فصال وجدال مع ربِّنا «فَأَعْطُوا يَعْقُوبَ كُلَّ الْآلِهَةِ الْغَرِيبَةِ الَّتِي فِي أَيْدِيهِمْ وَالأَقْرَاطِ الَّتِي فِي آذَانِهِمْ فَطَمَرَهَا يَعْقُوبُ تَحْتَ الْبُطْمَةِ الَّتِي عِنْدَ شَكِيمَ. ثُمَّ رَحَلُوا.» (تكوين ٣٥: ٤-٥).

في هذه الطَّريق المُرَّة التي ذهب فيها يعقوب تألم كثيراً وخسر أشياء كثيرة.

• فقد الحنان (ماتت رفقة).

• فقد الحب (ماتت راحيل).

• فقد القوَّة (انخلع حُقّ فَخذه).

• فقد الصِّحة (خسر عشرين سنة من عمره).

COPYRIGHTED

• فقد السَّلام، وعاش في قلق مستمر وصراعات مستمرة سواء مع لابان أو مع عيسو أو مع نفسه.

لكن الوحيد الذي بقي مع يعقوب رغم ضياعه وتيهانه وضعفه وخوفه وتخبُّطه وعناده، هو الرَّب له كل المجد؛ لأنه قد سبق ووعده (ها أنا معك وأحفظك حيثما تذهب). لم يفقِد الرَّب يعقوب لأن الرَّب شديد القدرة، ولم يفقِد يعقوب الرَّب لأن الرَّب شديد الأمانة. سلسلة طويلة من الفَقد ألَمَّت بيعقوب، لكنه لم يفقِد قَط بركة الله ومقاصد الله له.

سأل يعقوب المُصارِع (ما اسمك؟) لكن المُصارِع لم يجِبه إذ قال له (لماذا تسأل عن اسمي؟). لكن أصغر مؤمن في العهد الجديد من حقِّه أن يتمتَّع عمليًا بكلمات المسيح للآب: «وَعَرَّفْتُهُمُ اسْمَكَ وَسَأُعَرِّفُهُمْ» (يوحنا ١٧: ٢٦).

قال هوشع النبي، وهو يعلِّق بالرُّوح القدس بالوحي على واقعة مبيت يعقوب في بيت إيل: «وَجَدَهُ فِي بَيْتِ إِيلَ وَهُنَاكَ تَكَلَّمَ مَعَنَا.» (هوشع ١٢: ٤). لم يقُل هوشع أن الله تكلَّم معه -أي مع يعقوب- بل قال أن الله تكلَّم معنا، بالرغم من أنه لم يكن هناك أحد مع يعقوب في تلك اللَّيلة، لقد بات تلك اللَّيلة وحده في الصحراء واضعًا رأسه على حجر، وبالرغم من أن هوشع لم يكُن موجودًا هناك وقتها، بل ولم يكُن موجودًا أصلًا. ويا لعمق وغنى المعنى. إن الله من خلال هذه الأحداث لم يتكلَّم فقط مع أصحابها المعنيين بل يتكلم أيضًا معنا. فكل ما كُتِبَ كُتِبَ لأجل تعليمنا. فيا ليتنا ننصِت ونتعلَّم.

COPYRIGHTED

REMOON

COPYRIGHTED

الجزء السادس

إله يعقوب أم بئر يعقوب؟

مرجعية الكنيسة بين الكتاب المقدَّس والتَّقليد

«أَلَعَلَّكَ أَعْظَمُ مِنْ أَبِينَا يَعْقُوبَ الَّذِي أَعْطَانَا الْبِئْرَ وَشَرِبَ مِنْهَا هُوَ وَبَنُوهُ وَمَوَاشِيهِ؟» (يوحنا ٤: ١٢)

قالت السَّامريَّة هذه العبارة القويَّة للمسيح والتي تُخفي خلفها الكثير من المعاني والدَّوافع والقناعات. وما أشبه اليوم بالبارحة، كان للسَّامريَّة على الأقل ثلاث دعائم ترتكِز عليهم في محاولاتها لرَيّ عطشها من بئر يعقوب. سوف أسردها أولًا، ثم بعد ذلك اكشف على قدر ما عندي من نور كَم الخداع الهائل في هذه الدَّعائم الهشَّة:

COPYRIGHTED

(١) يعقوب هو العاطي «أَلَعَلَّكَ أَعْظَمُ مِنْ أَبِينَا يَعْقُوبَ الَّذِي أَعْطَانَا الْبِئْرَ وَشَرِبَ مِنْهَا هُوَ وَبَنُوهُ وَمَوَاشِيهِ؟» (يوحنا ٤: ١٢). تقليدات ومُسلَّمات الآباء. إحنا أخدنا التَّقليد ده من الآباء. يا لسطوة وقسوة هذا الرَّباط! حتَّى أنَّنا مؤخرًا للأسف سمعنا بعض النُّجوم اللامعة تقولها صراحةً (إن التَّقليد المُسلَّم من الآباء هو مرجعية الكنيسة وليس الكتاب المقدَّس).

(٢) ورُبَّ قائِل، لماذا الاعتراض على مياه بئر يعقوب؟ لماذا كل هذا الهجوم على التَّقليد والطَّقس؟ أنا باشرب من الميَّه اللِّي شِرِب منها يعقوب ومواشيه. وهذا هو الرَّباط الثَّاني (ليس فقط أن التَّقليد مُسلَّم من الآباء ولكن أن الأباء شِربوا منُّه وعاشوا بيه وعليه) دي مَيَّه بَرَكة، هو أنا أطول أشرب من الميَّه اللِّي شِرِب منها يعقوب؟ وأنا أطول أمارس نفس الطُّقوس اللي الآباء كانوا بيمارسوها؟ إيه المشكلة بس! أليس يعقوب قد شِرِب منها وعاش عيشة تمام التمام وزي الفل. الميَّه عَذبة وطعمها حلو وصالحة للشُّرب. دي أجيال ورا أجيال عاشت عليها وشِربت منها. وهكذا مثل هذه العبارات التي يردِّدونها إلى يومنا هذا.

(٣) البئر عميقة. لا دَلو لك والبئر عميقة. العُمق هو أحد الدعائم القوية التي نرتكز عليها وخاصة في هذه الأيام التي زاد فيها إعمال العقل (فلان ده كلامه عميق)، العُمق هو أحد الدعائم التي تغرينا وتصطاد عقولنا لنقبل دون فحص، العُمق الذي قد لا يكون بالضَّرورة عُمقًا ولكن نحن نَعَتناه هكذا عندما لم نستطِع أن نفهم ما يُقال، فاعتبرنا قائله شخص

COPYRIGHTED

عميـق. نحـن أحيانًـا بجهـلٍ نُسـمِّي عـدم الفهـم عُمـق.

وأقـول بـكل أسـف مجـدَّدًا مؤكِّـدًا: مـا أشـبه اليـوم بالبارحـة. وفي عُجالـة أقـول: هـذه الثُّلاثيـة للـرَّد عـلى هـذه الدَّعائـم الهشـة:

(١) أيُّهـما أعظـم، يعقـوب أم إلـه يعقـوب؟ بـدون شـك وبـدون تفكـير إلـه يعقـوب أعظـم ولا مجـال للمقارنـة. لكـن السَّـامريَّة عندمـا كانـت مظلمـة القلـب والعيـون كانـت تـرى أن يعقـوب أعظـم مـن هـذا الرَّجـل اليهـودي الـذي يتحـدث معهـا فسـألته مسـتنكِرة (ألعلَّـك أعظـم مـن أبينـا يعقـوب) وكأنَّهـا لا تصـدِّق أن هنـاك مـن هـو أعظـم مـن يعقـوب. وهـذا هـو حـال الكثيريـن، يقدِّسـون الأشـخاص لدرجـة التأليـه ويضعونهـم في مراتـب عاليـة أحيانًـا تفـوق مكانـة الـرَّب نفسـه، إنـه ظـلام القلـب. لكـن مـا أن يسـتنير القلـب وتنفتـح العيـون يسـقط الجميـع ولا يحلـو للِّسـان إلا الحديـث عـن إنسـان واحـد وحيـد «إِنْسَـاناً قَـالَ لِي كُلَّ مَـا فَعَلْـتُ.» (يوحنـا ٤: ٢٩). إلـه يعقـوب هـو الـذي وجـد يعقـوب عندمـا كان تائهًـا في القفـر وهـو بعينـه مـن وجـد السَّـامريَّة وهـي تائهـة في الـدَّرب. لا فـرق بـين يعقـوب والسَّـامريَّة، فكلاهـما تاه ومـال إلى طريقـه واحتـاج إلى الـرَّب لـكي يجـده ويسـتعيده ويسـترَّده.

(٢) أيُّهـما أعظـم بـئر يعقـوب أم إلـه يعقـوب؟ للـرَّد عـلى ادِّعـاء (أنـا بـاشرَب مـن الميَّـه اللِّي شِرِب منهـا الآبـاء، دي مَيَّـه بَرَكـة) أقـول، هـل بالفعـل ميـاه بـئر يعقـوب تعطـي رَيًّـا؟ نعـم وهنـا الخُدعـة. إنهـا تعطـي بعـض الـرَّي المؤقَّـت والـرَّي السَّـطحي للجسـد. لكنهـا لا تسـتطيع أن تصـل عميقًـا لـتروي الـرُّوح رَيًّـا دائمًـا. ولعلَّـك لاحظـت يـا صديقـي أنَّـه كـما أن يعقـوب كان يـشرب منهـا كانـت مـواشي يعقـوب أيضًـا

COPYRIGHTED

تشرب منها (المواشي والبهائم كائنات ثُنائية، نفس وجسد فقط لكن بلا روح). وكأنَّ الكتاب يريد أن يقول: إن التَّقليد والطُّقوس بالفعل تعطي بعض الشبع المؤقت للجسد ونزعاته ورغباته، تعطي بعض التَّهدئة المؤقَّتة الزَّائفة للضَّمير والإرضاء الوهمي الكاذب للنَّفس، تعطي بعض العِلم الأجوَف المُجرَّد، ولكنَّها لا تستطيع أن تعطي شبعًا حقيقيًا عميقًا يلمس الرُّوح ويحيِّيها ويرويها.

(٣) العُمق. نعم كانت البئر عميقة، لدرجة أنها استمرَّت تعطي ماء من أيَّام يعقوب إلى أيَّام السَّامريَّة، يا للعُمق الرَّهيب!

لكن هل كل عُمق يحمل شبعًا حقيقيًا وحياة؟ أليس للموت أيضًا عُمق؟ هناك عُمق حقيقي مُشبِع، وهناك عُمق أجوَف مُميت. كم نحتاج أن ندرك هذا في هذه الأيَّام السَّوداء، ليس كل عُمق استنارة حقيقيَّة ونورًا حقيقيًا، فلنتحذَّر.. فإنَّ الخداع أيضًا له عُمق. كانت السَّامريَّة تشرب وتنهَل من هذا العُمق، وفي ذات الوقت كانت تعيش أقصى أعماق الفساد الأخلاقي والأدبي أيضًا.

وسريعًا أقول: كيف وجدت السَّامريَّة في إله يعقوب ما يغنيها عن بئر يعقوب؟

أولًا: وجدت نفسها عندما وجدها المسيح. وجدت نفسها وقيمتها فيه. التقت الشَّخص الذي يستطيع أن يجد كل التَّائهين الفاقدين الوجهة والهويَّة والمعنى.

ثانيًا: وجدت العُمق الحقيقي وليس عمق بئر يعقوب. ما أروعها وعيونها تستنير وتنفتح لترى الطَّبيعة المزدوجة للمسيح

COPYRIGHTED

والتي يتفلسَف فيها اللاهوتيُّون إلى يومنا هذا. ما أروعها وهي تطلق هذا التَّقرير المُذهِل. إنسان (النَّاسوت) قال لي كل ما فعلت، كُلِّي العِلم (اللاهوت). هذه الحقيقة التي لم يكن اليهود أصحاب التَّقليد يعرفونها فقال لهم المعمدان «فِي وَسَطِكُمْ قَائِمٌ الَّذِي لَسْتُمْ تَعْرِفُونَهُ.» (يوحنا ١: ٢٦). وأقول أين ومتى دَرَسَت هذا الحق؟ في أي كتب قَرَأت عنه؟ إنها الاستنارة وليست الدِّراسة يا صديقي. إنه الله عندما يفتح العيون ويكشف العمائق والأسرار.

ثالثًا: وَجَدَت الماء الحي. وَجَدَت الرَّي الحقيقي وجَرَت من بطنها أنهار ماء حي. وجدت ماء ينبع إلى حياة أبديَّة، وعندها تركت الجَرَّة. وَجَدَت الشبع الحقيقي في المسيح فتركت الطُّقوس والممارسات الجَوفاء التي لا تُشبِع.

وعليه أقول للرَّد بالطَّبع ليس التَّقليد دون الكتاب المقدَّس هو مرجعية الكنيسة -عارٌ علينا أن نقول هذا- كما أضيف ما هو أكثر، ليس حتَّى التَّقليد مع الكتاب المقدَّس هما مرجعية الكنيسة، فهذه أيضًا خُدعة كاذبة. الكتاب المقدَّس وحده فقط ولا شيء معه هو المرجعية لنا. الكنيسة المستنيرة تترك الجَرَّة. لا يمكن لشخص انفجر داخله ينبوع ماء حي أن يجد أي استمتاع واحتياج لمياه بئر يعقوب. لا يمكنك أن تمسك المسيح بيد والجَرَّة باليد الأخرى وإن حدث هذا، فهذه علامة قويَّة على أن هذه الكنيسة أو هذا الشَّخص لم يستنِر استنارة حقيقيَّة كاملة تجعله يترك الجَرَّة ومياه بئر يعقوب.

COPYRIGHTED

كلمة أخيرة أقولها لأخوتي الأحبَّاء الذين يخوضون مثل هذه الحروب: ربِّنا يباركم، لكن التَّخلِّي عن الجَرَّة وتركها لن يأتي أبدًا بنقد مياه بئر يعقوب ولكن بتذوُّق الماء الحي، الأمر يحتاج ليس إلى دراسة، ولا إلى جدل ولكن إلى لحظة استنارة تلتقي فيها النَّفس مع شخص المسيح وهو يكشف عن ذاته بالاعلان «أَنَا الَّذِي أُكَلِّمُكِ هُوَ» (يوحنا ٤: ٢٦). الأمر يحتاج إلى صلاة بقلب يحترق على النُّفوس، أكثر من جَدَل ثائر مُلتهب يحرق النُّفوس.

أنا إله بيت إيل

هذا الجزء طويل بعض الشيء لكنه سيكشف لك كيف أن الله مبهر بحق ويستطيع أن يصل ببصره وعلاجه إلى أعمق نقطة داخل نفسك، حيث لا يستطيع أحدٌ سواه أن يصل، وأنه يفهمك جيدًا جدًا، حتى عندما لا تستطيع أنت نفسك أن تفهم نفسك.

قال الرَّب لأبرام بعد اعتزال لوط عنه: « ارْفَعْ عَيْنَيْكَ وَانْظُرْ مِنَ الْمَوْضِعِ الَّذِي أَنْتَ فِيهِ شِمَالاً وَجَنُوباً وَشَرْقاً وَغَرْباً لأَنَّ جَمِيعَ الأَرْضِ الَّتِي أَنْتَ تَرَى لَكَ أُعْطِيهَا وَلِنَسْلِكَ إِلَى الأَبَدِ.» (تكوين ١٣: ١٤-١٥)

وقال الرَّب ليعقوب عندما رأى حُلمًا بالسُّلَّم المنصوب والرَّب على رأس السُّلَّم: « أَنَا الرَّب إِلَهُ إِبْرَاهِيمَ أَبِيكَ وَإِلَهُ إِسْحَاقَ. الأَرْضُ الَّتِي أَنْتَ مُضْطَجِعٌ عَلَيْهَا أُعْطِيهَا لَكَ وَلِنَسْلِكَ.» (تكوين ٢٨: ١٣)

COPYRIGHTED

لكن ما أبعد الفارق بين يعقوب النائم المُغمِض العَينين غير واعي، وأبرام اليَقِظ المفتوح العَينين الواعي. في الحالتين لم يتغيَّر الوعد لأن الوعد ثابت ثبات الواعِد، والواعِد لا يتغيَّر بتغيُّر حالة الموعود. لكن أقول لقد خسر يعقوب بنومه هذا شَيئين على الأقل في غاية الأهميَّة.

الأول: خسر الاختبار الروحي الواعي للحضور الإلهي. خسر التَّلامس القريب مع حضور الله «حَقّاً إِنَّ الرَّب فِي هَذَا الْمَكَانِ وَأَنَا لَمْ أَعْلَمْ!» (تكوين ٢٨: ١٦). على خلاف ما حدث مع أبرام من تلامس واختبار واعي للحضور الإلهي، فما أروع هذه اللَّحظات والرَّب يقول لأبرام: «قُمِ امْشِ فِي الأَرْضِ طُولَهَا وَعَرْضَهَا لأَنِّي لَكَ أُعْطِيهَا» (تكوين ١٣: ١٧)، فيقوم أبرام ويمشي أمام الرَّب وفي حضرته ويتأمَّل الأرض.

الثاني: خسر وضوح ويقينيَّة الصَّوت الإلهي. وهذا ما نلحظه من كلامه بعدما استيقظ من حلمه «إِنْ كَانَ اللهُ مَعِي وَحَفِظَنِي» (تكوين ٢٨: ٢٠)، (إن) كلمة من حرفين فقط لكنها مشبعة بالاهتزاز والشَّك. لقد شك هنا ليس في قدرة الله وأمانته لوعوده، لكن كانت شكوكه هل الله هو المتكلِّم حقًّا أم أن هذا الحلم من نَسج عقله المُجهَد المُضطَّرب؟ لقد تداخلت رغباته الشَّخصيَّة مع صوت الرَّب وكلامه. رغبته الشَّخصيَّة بالعودة لبيت أبيه «وَرَجَعْتُ بِسَلاَمٍ إِلَى بَيْتِ أَبِي» (تكوين ٢٨: ٢١) حيث الرَّاحة والدِّفء والعلاقات الأسريَّة، حيث الأم التي أحبَّت والأب الذي بارك، حيث الاستقرار، فهو من الأصل رجل الخيام وليس رجل البريَّة كعيسو. تداخلت

COPYRIGHTED

أحلامه بالعودة للبيت مع وعد الله له بالأرض «وَأَرُدُّكَ إِلَى هَذِهِ الأَرْضِ» (تكوين ٢٨: ١٥)، فالله يتحدَّث عن مقاصد وتدبيرات مستقبليَّة كبيرة وواسعة، وعد بأرضٍ. لكن يعقوب يحلم حلم صغير وضيِّق، يحلم ببيت، يحلم بخُبز ليأكل وثيابًا ليلبس (البيت والخُبز والثِّياب). هذه الثَّلاثة هي في الواقع رغبات يعقوب المُختزَنة في عقله والتي أسقطها على كلام الرَّب وليست كلام الرَّب؛ لأنَّ الله لم يتحدَّث مُطلقًا عن بيت وخُبز وثياب.

وعندما اختلطت الأمور وتداخلت رغباته الشَّخصيَّة مع صوت الله، شَكَّ. شَكَّ في حقيقة هذا الحُلم، هل هو بالفعل من الله أم من نَسج عقله ورغبته؟ هل هو بالفعل من الله أم ضغط الهروب المفاجئ خوفًا من عيسو والاضطِّراب من النَّوم مُنفردًا في القفر سانِدًا رأسه على حجر هو ما نَسَج في عقله هذه الرَّغبات؟ وبين الشُّعور بالرَّهبة والإحساس بأن الرَّب كان في هذا المكان، والشُّعور ببعض الشُّكوك خِشية أن تكون هذه الرَّغبات نَسج عقله المُجهَد المُضطَّرب، نَذَر نذرًا وقال: « إِنْ كَانَ اللهُ مَعِي وَحَفِظَنِي فِي هَذَا الطَّرِيقِ الَّذِي أَنَا سَائِرٌ فِيهِ وَأَعْطَانِي خُبْزاً لِآكُلَ وَثِيَاباً لأَلْبَسَ وَرَجَعْتُ بِسَلاَمٍ إِلَى بَيْتِ أَبِي يَكُونُ الرَّب لِي إِلَهاً وَهَذَا الْحَجَرُ الَّذِي أَقَمْتُهُ عَمُوداً يَكُونُ بَيْتَ اللهِ وَكُلُّ مَا تُعْطِينِي فَإِنِّي أُعَشِّرُهُ لَكَ» (تكوين ٢٨: ٢٠-٢٢). إذا تحقَّق هذا الكلام بالفِعل إذاً هذا الحلم من الله ووقتها يكون الرَّب إلهي.

واستمر الأمر هكذا عشرين عامًا، عشرين عامًا من الشَّك والتَّعب في بيت خاله، ذاق المُرَّ ألوانًا. تزوج وأنجب وتعب واغتنى.

COPYRIGHTED

وبعد عشرين عامًا قال له الرَّب: «أَنَا إِلَهُ بَيْتِ إِيلَ حَيْثُ مَسَحْتَ عَمُوداً. حَيْثُ نَذَرْتَ لِي نَذْراً. الْآنَ قُمِ اخْرُجْ مِنْ هَذِهِ الأَرْضِ وَارْجِعْ إِلَى أَرْضِ مِيلاَدِكَ» (تكوين ٣١: ١٣). ولكن لفت نظري أن الرَّب لم يقل له أنا إله إبراهيم أبيك وإله إسحاق كما قال له في المَرَّة الأولى في بيت إيل، لكنه قال له أنا إله بيت إيل. بعد عشرين سنة وبعد كم رهيب من الأحداث والصِّراعات بعد أن كان يعقوب غالبًا قد نَسي ما فعله وما قاله له الله في بيت إيل، جاء له الرَّب مجدداً ليس فقط ليقول له: «ارْجِعْ إِلَى أَرْضِ مِيلاَدِكَ» ولكن ليقول له أنا هو الشَّخص الذي تحدَّث إليك في بيت إيل، أنا إله بيت إيل. وأعطاه علامتين ليؤكد له أنه كان موجودًا هناك «حَيْثُ مَسَحْتَ عَمُوداً. حَيْثُ نَذَرْتَ لِي نَذْراً». لم يكن حُلمًا من نَسج خيالك وعقلك ورغباتك يا يعقوب، لقد كنت أنا المتكلِّم، لقد كنت موجودًا هناك.

يا لروعة الرَّب وهو يختار علامة من الأحداث التي حدثت في بيت إيل ليؤكِّد له. لم يقُل له أنا إله بيت إيل حيث نمت واضِعًا رأسك على الحجر -وهي ذكرى مؤلِمة- لكن بكل نعمة وحب يقول له حيث نصبت هذا الحجر عمودًا. وبهذا الإعلان الرَّائع استطاع الله أن يمحو (إن) المُشبَّعة بالشَّك من كلام يعقوب فنسمعه يقول للرَّب: « وَأَنْتَ قَدْ قُلْتَ: إِنِّي أُحْسِنُ إِلَيْكَ وَأَجْعَلُ نَسْلَكَ كَرَمْلِ الْبَحْرِ الَّذِي لاَ يُعَدُّ لِكَثْرَةٍ» (تكوين ٣٢: ١٢). لقد تيقَّن أن الرَّب هو المتكلِّم والقائل.

COPYRIGHTED

لكن الله لم يكتفِ فقط بهذا الإعلان (أنا إله بيت إيل)، لكن تكلَّم معه الرَّب مرَّة أخرى وقال له: « قُمِ اصْعَدْ إِلَى بَيْتِ إِيلَ وَأَقِمْ هُنَاكَ وَاصْنَعْ هُنَاكَ مَذْبَحاً لِلَّهِ الَّذِي ظَهَرَ لَكَ حِينَ هَرَبْتَ مِنْ وَجْهِ عِيسُو أَخِيكَ» (تكوين ٣٥: ١). لم يقُل له (اصنع مذبحًا) ثم صمت، لكنه أكمَل (لله الذي ظهر لك). يا له من تأكيد آخر أكثر وضوحًا ضاعف يقينه بأن الرَّب بالفعل كان هناك. وما يؤكِّد يقينه بأن الرَّب كان هناك هو كلامه في (تكوين ٣٥: ٧) عندما صعد وبنى مذبحًا ودعا المكان ليس بيت إيل كما الأول، ولكن (إيل بيت إيل ... إله بيت إله)؛ لأنه هناك ظهر له الرَّب حين هرب من وجه عيسو.

وأخيرًا، ظهر له الرَّب مرَّة أخرى وقال له: «وَالأَرْضُ الَّتِي أَعْطَيْتُ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ لَكَ أُعْطِيهَا. وَلِنَسْلِكَ مِنْ بَعْدِكَ أُعْطِي الأَرْضَ» (تكوين ٣٥: ١٢)، وكأنَّ الله يقول له: بعد أن تأكَّدت أنيِّ أنا إله بيت إيل وأنيِّ كنت هناك، ها أنا أُعيد عليك مرَّة أخرى الوعد الذي وعدتك به هناك، لئلا تكون قد نسيته من طول المدَّة. أولاً أكَّد له أنه هو الواعِد، ثم ثانيًا أكَّد له الوعد، فيا للرَّوعة!

وبعدما تكلَّم الرَّب معه صعد الرَّب عنه فنصب يعقوب عمودًا من حجر في المكان الذي فيه تكلَّم معه ودعا المكان بيت إيل. وهنا تعجَّبت لماذا دعا المكان بيت إيل أيضًا (ذات الاسم الذي دعا به المكان في المرَّة الأولى في تكوين ٢٨)؟ نعم هو ذات الاسم لكن حالة يعقوب لم تكن ذات الحالة. في المرَّة الأولى، كان يعقوب

COPYRIGHTED

مضطجِعًا نائمًا حينما تكلَّم الله معه لكنه هذه المرَّة يقِظًا واعيًا. ويا له من درس! فكثير من الأمور الرُّوحيَّة المقدَّسة نمارسها بصورة شكليَّة سطحيَّة دون وعي وإدراك، ونحن في حالة روحيَّة هزيلة ضعيفة نائمة، لكن يا للفارق عندما نمارس ذات هذه الأمور ونحن يقظين روحيًا وعلى وعي وإدراك بعمق وسمو هذه الأمور ومعانيها وجوهرها. في المرَّة الأولى تكلَّم الله مع يعقوب في حُلم لكن يعقوب لم يكن مع الله، لقد كان نائمًا، لكن في المرَّة الثانية ظهر الرَّب له وتكلَّم معه ويعقوب يقظ وواعي ومُنتبِه لكلام الرَّب. في المرَّة الأولى، نصب الحجر الذي كان مضجعًا عليه، لكن في المرَّة الثانية نصب الحجر حيث تكلَّم الرَّب معه عمودًا. المكان لم يتغيَّر والاسم لم يتغيَّر، لكن حالة يعقوب ونضوجه ومستوى إدراكه هي التي تغيَّرت.

يا لروعة هذا الإله الذي امتد ببصره داخل النفس عميقًا عميقًا وعرف بالضَّبط أين الخلل وما هي الكلمات التي كان يحتاج يعقوب أن يسمعها لتشفيه وتعالجه. يا له من يوم سعيد، يوم أن يأتي الله لك يا صديقي وسط ضغوطك وصراعاتك ليذكِّرك ويؤكِّد لك وعود قديمة كانت تحوم حولها الشُّكوك لينفُض عنها التُّراب ويجعلها تلمع من جديد. إنه إله بيت إيل.

لكن أقول للتَّحذير، يا للخسارة! فمع أنه حلم قوي رائع استقبله يعقوب استقبالًا مشوَّشًا، لأنه كان مضطجعًا. عشرين عامًا عاشها يعقوب مهتزًّا متشكِّكًا متخبِّطًا ورؤيته للرَّب غير واضحة، ليس لأن الرَّب لم يكن معه؛ لكن لأنَّه لم يكن متيقِّنًا أن الرَّب

COPYRIGHTED

معـه. ليـس لأن الـرَّب لم يتكلَّـم معـه؛ لكـن لأنـه لم يكـن متيَّقنًـا مـن كلام الـرَّب معـه. خـسر بضعفـه ونومـه ونعاسـه وضـوح الرؤيـة ويقينيَّـة الصـوت الإلهـي واختبـار الحضـور الإلهـي القريـب الملمـوس لمـدة عشريـن عامًـا. لكـن أقـول للتَّشـجيع، أنـه قـط لم يخـسر معيـة اللـه وقـط لم يخـسر الوعـد الإلهـي لأن اللـه أمـين أمانـة مطلقـة لا تتوقَّـف عـلى حالتنـا.

COPYRIGHTED

الجزء السابع

وأمَّا الطَّير فلَم يشُقَّهُ (١)

بصِدق استمتعت وانفتحت عيناى وشبع قلبى وأنا أرى الرُّوح القدس وهو يرسم بكل دقَّة ومهارة التَّجسُّد والصَّليب فى أحد فصول العهد القديم كنت أظنُّها بغباء وجهل بلا معنى لأنِّى لم أكُن أفطن إلى أعماقها. وفى ذات الوقت شعرت بالشَّفقة على كل من ينكرون لفظيَّة وعِصمة الوحى المقدَّس. إنَّها سطور من ذهب!

كان الصَّليب هو الضَّمان، بل كان هو الإجابة عن سؤال إبراهيم القديم «أَيُّهَا السَّيِّدُ الرَّب بِمَاذَا أَعْلَمُ أَنِّي أَرِثُهَا؟» (تكوين ١٥: ٨). هيا معى لترى الصَّليب واضحًا وضوح الشَّمس في الرَّمز.

COPYRIGHTED

قال الرَّب لإبراهيم: «خُذْ لِي عِجْلَةً ثُلاَثِيَّةً وَعَنْزَةً ثُلاَثِيَّةً وَكَبْشاً ثُلاَثِيّاً وَيَمَامَةً وَحَمَامَةً» (تكوين ١٥: ٩).

وصِدقًا تعجَّبت لماذا ذكر الكتاب أعمار العِجلة والعَنزة والكَبش، ولم يذكر عمر اليمامة والحمامة؟!

وهنا رأيت الرَّوعة وأكلت الدَّسم. إنَّ هذه الذَّبيحة المكوَّنة من خمسة ذبائح ترمز مُجتَمِعة إلى شخص الرَّب يسوع المسيح الذَّبيح الحقيقى، ففى عظمته لا تستطيع ذبيحة واحدة أن تعبِّر عنه. إنها اتِّحاد عجيب بين ما هو أرضى «النَّاسوت» وما هو سماوي «اللاهوت»، إنَّه التَّجسُّد. النَّاسوت فى أكثر من وجه مرموز له بالعِجلة والعَنزة والكَبش، واللاهوت مرموز له بالطَّير -يمامة وحمامة-

الناسوت له تاريخ ميلاد وبداية، أمَّا اللاهوت فمخارجه منذ القِدَم منذ أيَّام الآزل. ولهذا قَصَد الرُّوح القدس أن يحدِّد أعمار الأرضي -العِجلة والعَنزة والكَبش- بثلاثية، وأغفل عن قصد تحديد عمر السَّماوي -اليمامة والحمامة- فيا للرَّوعة والمهارة!

فى ثلاثية، أرى المسيح الذي مات في الثَّلاثينات من العمر. ٣٣ سنة تقريبًا. المسيح الذي قال بالنبوة: «يَا إِلَهِي لاَ تَقْبِضْنِي فِي نِصْفِ أَيَّامِي.» (مزمور ١٠٢: ٢٤).

لكن بصِدق اندهشت وتسمَّرت فى مكانى وأنا أرى إبراهيم بسكِّينة يشُق العِجلة والعَنزة والكَبش. ثم يقول الكاتب مَسوقًا من الرُّوح القدس: «وَأَمَّا الطَّيْرُ فَلَمْ يَشُقَّهُ» (تكوين ١٥: ١٠). وكأنَّ الله

COPYRIGHTED

يعلن له بصورة رمزيَّة بديعة أنَّ النَّاسوت سوف ينشَق ويموت، فالحِجاب انشقَّ والكتاب يقول صراحة «الحِجاب أي جسده». أمَّا اللاهوت فلا تجرؤ سكِّينًا على أن تقترب منه. الله له وحده عدم الموت، وعندما أراد أن يفدي تطلب الأمر أن يشترك في اللَّحم والدَّم لكي يستطيع أن يبيد بالموت ذاك الذي له سلطان الموت، أي إبليس.

وهنا أرى إجابة للسُّؤال الشَّهير: إن كان المسيح هو الله، فمن كان يحكم العالم يوم أن كان المسيح في القبر؟ والإجابة هي الله بلاهوته.

اللاهوت الذي لم يفقِد السَّيطرة والسُّلطان على هذا العالم لحظة واحدة أو طرفة عين. أمَّا الطَّير فلم يشُقَّه.

إذا كان المسيح قد قال مطمئنًا تلاميذه: « وَلاَ تَخَافُوا مِنَ الَّذِينَ يَقْتُلُونَ الْجَسَدَ وَلَكِنَّ النَّفْسَ لاَ يَقْدِرُونَ أَنْ يَقْتُلُوهَا» (متى ١٠: ٢٨). فهل يُعقَل أن يستطيع أحد أن يمَسّ لاهوت المسيح عند موته؟ بالطَّبع لا وألف مليون لا.

وهنا يأتى السُّؤال الثَّانى: إذًا ما فائدة اتحاد اللاهوت بالنَّاسوت إذا كان اللاهوت لم يتأثَّر بالموت؟

أقول إنه باتِّحاد (كل مِلء اللاهوت) بالنَّاسوت، اكتسب هذا النَّاسوت قيمة اللاهوت اللا محدودة. وعليه أصبحت قيمة ذبيحة المسيح لا محدودة تكفي لفداء العالم أجمع.

COPYRIGHTED

صديقى العزيز، إنه الكتاب المقدَّس، إنه العهد القديم، إنه الصَّليب، إنه الرُّوح القدس، إنه المسيح.

وأمَّا الطَّير فلَم يشُقَّهُ (٢)

«ثُمَّ غَابَتِ الشَّمْسُ فَصَارَتِ الْعَتَمَةُ وَإِذَا تَنُّورُ دُخَانٍ وَمِصْبَاحُ نَارٍ يَجُوزُ بَيْنَ تِلْكَ الْقِطَعِ.» (تكوين ١٥: ١٧).

بعد أن شَقَّ إبراهيم العِجلة والعَنزة والكَبش من الوَسط، وهذة إشارة بديعة وصريحة لحجاب الهيكل الذى انشقَّ أيضًا من الوَسط من أعلى إلى أسفل إلى نصفين، جعل شَق كل واحد مقابل صاحبه. ثمَّ يستكمل الكاتب ويقول مَسوقًا من الروح القدس، ثمَّ غابت الشَّمس فصارت العتمة. وهنا أقول أن الطَّبيعي عندما تغيب الشَّمس هو أن ينير القمر -فالقمر هو النُّور الأصغر الموضوع لحكم اللَّيل. القمر هو الانعكاس غير المباشر لنور الشَّمس). يومًا ما قال الكتاب فى (تكوين ٢٨: ١١) عن يعقوب إنه صادف مكانًا وبات هناك لأن الشَّمس قد غابت، لكن الكتاب لم يستكمل ويقول كما هنا: «فصارت العَتمة». لأنَّه كان غياب الشَّمس ليوم طبيعي. أمَّا ما رآه إبراهيم هنا فى الرُّؤية، فهو حدث استثنائي فوق طبيعي. إن الشَّمس لم تغِب فحسب بل أظلمَت، فلم يعُد هناك شمسٌ تنير ولا قمرٌ يعكس فعمَّت العَتمة الأرض.

إنَّه تعبير رمزى بديع عن ثلاث ساعات الظُّلمة التي غطَّت الأرض كلها والمسيح له المجد مُعلَّق على الصَّليب « وَكَانَ نَحْوُ السَّاعَةِ السَّادِسَةِ فَكَانَتْ ظُلْمَةٌ عَلَى الأَرْضِ كُلِّهَا إِلَى السَّاعَةِ التَّاسِعَةِ.» (لوقا

COPYRIGHTED

٣٣: ٤٤).لكن فى وَسط هذه العَتمة والظَّلام رأى إبراهيم تنُّور دخَّان ومصباح نار يجوز بين القِطَع -قِطَع الذَّبيحة- ويا له من إبداع في الوصف. إلى ماذا ترمز هذه الأشياء التى رآها إبراهيم؟

مِصباح نار. إنه الله بكل جلاله ورهبته وهيبته وعظمته وقداسته وغضبه. الله الذي قال عنه بولس: «لأَنَّ إِلَهَنَا نَارٌ آكِلَةٌ.» (عبرانيين ١٢: ٢٩)، والذي قال عنه يوحنا «إِنَّ اللهَ نُورٌ وَلَيْسَ فِيهِ ظُلْمَةٌ الْبَتَّةَ.» (١ يوحنا ١: ٥). الله النُّور والنَّار، مِصباح نار. وعندما حمل المسيح خطايانا على الصَّليب وجُعِلَ له كل المجد خطية لأجلنا، لم يكُن أمام الله النُّور المُطلق والذي ليس فيه ظلمة البتة إلا أن يمطِر نيران غضبه على الذَّبيحة لتأكلها.

مصباح نار يجوز بين القطع. أليس هو ذاته ما عبَّر عنه المسيح بالنبوة «مِنَ الْعَلاَءِ أَرْسَلَ نَاراً إِلَى عِظَامِي فَسَرَتْ فِيهَا.» (مراثي ١: ١٣). هل لاحظت عزيزى القارئ الفعل (يجوز) والفعل (سَرَت)؟ هل لاحظت قوَّة التَّشابه بين النَّار وهي تجوز بين القِطَع والنَّار وهي تسرى في عظام المسيح؟ صَدَق المرنِّم عندما قال بلسان المسيح: «كان كل شيء فيَّ يحترق فوق الصَّليب، في يديَّ وأرجلي، في الرَّأس نار كاللَّهيب».

وعندما أحترقت القِطَع تمامًا وحملت كل الدَّينونة والغضب صعد الدُّخان -دليل الاحتراق- تنُّور الدُّخان. كلمة تنُّور تعني فرن أو آتون. إنَّه الدُّخان الذي رآه إبراهيم ولكن في الحقيقة وليس في رؤيا بعدما أمطر الرَّب على سدوم وعمورة نارًا وكبريتًا. يقول الكتاب: «وَتَطَلَّعَ نَحْوَ سَدُومَ وَعَمُورَةَ وَنَحْوَ كُلِّ أَرْضِ الدَّائِرَةِ وَنَظَرَ

COPYRIGHTED

وَإِذَا دُخَانُ الأَرْضِ يَصْعَدُ كَدُخَانِ الأَتُونِ.» (تكوين ١٩: ٢٨).

نعم، كم كان قاسيًا موت صليب العار. سكِّين شقَّت ونار أحرقت وأكلت. يستحق الرَّب سجود القلب العميق، يستحق أن نحبَّه بصِدق لأنَّه هو أحبَّنا أولًا. ونعم يحقُّ لكل من احتمى في الذَّبيحة أن يترنَّم «إِذاً لاَ شَيْءَ مِنَ الدَّيْنُونَةِ الآنَ عَلَى الَّذِينَ هُمْ فِي الْمَسِيحِ يَسُوعَ» (رومية ٨: ١)؛ لأنَّ تنُّور الدُّخان ومِصباح النَّار اجتازا بين القِطَع نيابة عنه.

بصدق كم أنا مندهش كيف عبرَّ موسى عن هذه السَّاعات الرَّهيبة (ساعات الظُّلمة) التي لم يدرك محتواها حتى من عاصروها وكانوا واقفين هناك عند الصليب. إنَّه الكتاب المقدَّس، كتبه أناس الله القدِّيسون مَسوقين من الرُّوح القدس.

COPYRIGHTED

وأمَّا الطَّير فلَم يشُقَّهُ (٣)

في الجـزء الأول والثَّـاني تـم شرح كيـف رأينـا التَّجسُّـد والصَّليـب في الرَّمـز. ومعنـى العبـارات (تنُّـور الدُّخـان، مِصبـاح نـار، وصـارت العَتمـة) وإلى مـاذا ترمـز.

وهنـا أسـتكمل التَّأمُّـل في رؤيـا إبراهيـم الـواردة في (تكويـن ١٥)، وبالتَّحديـد أتأمَّـل في الآيـة ١٢ «وَلَـمَّا صَـارَتِ الشَّـمْسُ إِلَى الْمَغِيـبِ وَقَـعَ عَـلَى أبـرام سُـبَاتٌ وَإِذَا رُعْبَـةٌ مُظْلِمَـةٌ عَظِيمَـةٌ وَاقِعَـةٌ عَلَيْـهِ.» وأتناولهـا مـن النَّاحيـة الرَّمزيَّـة والناحيـة العمليَّـة.

وأقـول: إذا كُنَّـا في شَـق الذَّبائـح (العِجلـة والعَنـزة والكَبـش) رأينـا مـوت المسـيح الذَّبيحـة الكاملـة، فإنَّنـا في نـوم أبـرام نـرى موتنـا مـع المسـيح. ويـا لهـا مـن حقيقـة ثابتـة منسـوجة داخـل سـطور وصفحـات الوحـي!. مـع ملاحظـة إنـه ليـس نـوم خفيـف أو غفوة، إنـه سُـبات، نوم عميـق. (Deep sleep). وفيهـا أرى عُمـق عمـل الصَّليـب في أرواحنـا ونفوسـنا. نعـم فالصَّليـب لا يصنـع فينـا تغيـرًا شـكليًا أو سـطحيًا. لكنـه يغـير القلـب مـن الدَّاخـل. إنـه يمتـد عميقًـا ليعالـج جـذور الأمـراض وليـس أعراضهـا.

وكـما رأينـا في سُـبات آدم إشـارة واضحـة لمـوت المسـيح، هكـذا نـرى في سُـبات أبـرام إشـارة واضحـة لموتنـا مـع المسـيح.

أليـس هـذا بعينـه مـا ذكـره بولـس: « لأَنَّـهُ إِنْ كُنَّـا قَـدْ صِرْنَـا مُتَّحِدِيـنَ مَعَـهُ بِشِـبْهِ مَوْتِـهِ نَصِـيرُ أَيْضـاً بِقِيَامَتِـهِ. ٦عَالِمِـينَ هَـذَا: أَنَّ

COPYRIGHTED

إِنْسَانَنَا الْعَتِيقَ قَدْ صُلِبَ مَعَهُ لِيُبْطَلَ جَسَدُ الْخَطِيَّةِ كَيْ لاَ نَعُودَ نُسْتَعْبَدُ أَيْضاً لِلْخَطِيَّةِ.» (رومية ٦: ٥-٦).

ثمَّ يأتي تعبير مرعب (رُعبة عظيمة مظلمة). تعبير قوي جدًا يصف قسوة الحالة التي دخل فيها أبرام. أعلِّق عليه تعليقًا حذرًا وأقول: علينا أن نتعامل بحذر شديد ونحن نقترب من أخ أو أخت يجتاز في ألم ما أو صليب ما. إنها منطقة عمل عميق لله في حياة هذا الشَّخص. إنَّها رُعبة عظيمة مظلمة. ولا مجال ولا مكان هنا للفلسفة أو الإستهتار أو محاولة التَّقليل والتَّخفيف ممَّا يجتاز فيه الشَّخص. وهذا يتطلَّب مستوى روحيًا عميقًا وتمييزًا عاليًا. وبصدق أقول ليس أي مؤمنًا يصلح للتعامل والاقتراب من هذه الحالات، إنَّها تتطلَّب مؤمن بمواصفات خاصَّة.

ولكن أخيرًا وليس آخِرًا، ما جعلني أتعجَّب هو أنَّ أبرام في وسط هذه الرُّعبة العظيمة المظلمة إستطاع أن يرى. كيف؟ نعم إنه درس للزَّمان. فبقدر ما تموت عيوننا الحرفيَّة الأرضيَّة وتنام بقدر ما تنفتح عيون إيماننا وترى. بقدر ما نتخلَّص من أفكارنا الطبيعيَّة الموروثة البالية وحكمتنا البشريَّة الجاهلة بقدر ما تتجدَّد أذهاننا بفكر المسيح وتستنير عقولنا وقلوبنا. إنها علاقة طرديَّة يا صديقي، فكلما كان صليبك مؤلمًا زادت واتَّسعت مداركك واستنارتك.

COPYRIGHTED

وأمَّا الطَّير فلَم يشُقَّهُ (٤)

أستكمل معك عزيزي القارئ التَّأمُّل في رؤيا إبراهيم الواردة في (تكوين ١٥) وبالتَّحديد في الآية ١١ « فَنَزَلَتِ الْجَوَارِحُ عَلَى الْجُثَثِ وَكَانَ أبرام يَزْجُرُهَا».

نَصٌّ بديع ووَصْفٌ دقيق لهياج الشَّيطان وأرواح الشَّر (الجوارح) عند صلب الرَّب يسوع المسيح. إنَّها الحرب الشَّرسة بين الجوارح والطَّير. إنها العداوة القديمة بين نسل الحيَّة (أولاد الأفاعي) -كما نعتهم المعمدان- ونسل المرأة (المسيح).

• أرى الجوارح في أولاد عالي الكاهن وكل من على شاكلتهم، الذين قال عنهم الرُّوح القدس بالصَّريح: « وَكَانَ بَنُو عَالِي بَنِي بَلِيَّعَالَ, لَمْ يَعْرِفُوا الرَّب» (١ صموئيل ٢: ١٢). أرى شراستهم وهمجيَّتهم واستهانتهم بالتَّقدمة وهم يضربون جسم الذَّبيحة بمنشال ذي ثلاثة أسنان .. جوارح.

• أرى الجوارح في هؤلاء الذين غرسوا إكليل الشَّوك في رأسه الكريم. وفي هؤلاء الذين ضربوه بالقصبة. وفي هؤلاء الذين طوَّلوا أتلامهم وحرثوا على ظهر المسيح. وفي هذا الذي طعن جنبه بالحربة. وفي عبدٍ تطاوَل ولطمه.

• أرى الجوارح في هؤلاء السَّكارى الجالسين في الباب يتكلَّمون في المسيح ويجعلونه أغنيتهم. وما أكثر هؤلاء اليوم! ما أكثر من

COPYRIGHTED

يتكلَّمون في المسيح وهُم في الحقيقة سكارى، سكارى الفلسفة، سكارى الحكمة الإنسانيَّة المُقنَّعة، سكارى تصفيق النَّاس وإعجابهم، سكارى التَّطبيل والأغاني. سكارى المنطق المَغلوط!

• في لصَّين صُلِبا مع المسيح أرى نسل الحيَّة وأرى نسل إبراهيم. في الأول أرى الجوارح وهو يجدِّف على المسيح ويقول مُشكِّكًا: «إِنْ كُنْتَ أَنْتَ الْمَسِيحَ فَخَلِّصْ نَفْسَكَ وَإِيَّانَا!» (لوقا ٢٣: ٣٩)، وفي الآخر أرى ابن إبراهيم الذي فعل كما فعل أبيه وزجر الجوارح. فانتهره (زجره) الآخر قائلًا: « أَوَلاَ أَنْتَ تَخَافُ اللهَ إِذْ أَنْتَ تَحْتَ هَذَا الْحُكْمِ بِعَيْنِهِ؟ أَمَّا نَحْنُ فَبِعَدْلٍ لأَنَّنَا نَنَالُ اسْتِحْقَاقَ مَا فَعَلْنَا وَأَمَّا هَذَا فَلَمْ يَفْعَلْ شَيْئاً لَيْسَ فِي مَحَلِّهِ» (لوقا ٢٣: ٤٠).

ولكن أخيرًا وليس آخِرًا أقول لكل مؤمن حقيقي: أمام ذبيحة المسيح لك إمتياز وعليك مسئوليَّة.

لك امتياز التَّغذِّي على الذَّبيحة (رأسه مع جوفه وأكارعه) وما أروعه «إمتياز» وما أدسمه «غذاء»!

(العجل المسمن) قدِّموا العِجل المُسَمَّن واذبحوه فنأكل ونفرح. لكن عليك أيضًا مسئوليَّة زجر الجوارح. هذه المسئوليَّة التي نجح فيها إبراهيم وفشل فيها عالي الكاهن عندما أكرم بنيه على الرَّب وكانت العواقب وخيمة.

عزيزي القارئ صلاتي أن يعطينا الرَّب القوَّة والشَّجاعة والحكمة والفهم والحب والغيرة المقدَّسة حتَّى نصبح على قدر المسئوليَّة.

COPYRIGHTED

وأمَّا الطَّير فلَم يشُقَّهُ (٥)

حوار شيِّق بين الرَّب وأبرام أختِم به هذه السِّلسلة مؤقَّتًا.

كان لدى أبرام تخوُّف من عدم إنجاب وارث يرث بيته. اسمعه وهو يقول للرَّب بألم: «إنك لم تعطني نسلًا وابن بيتي وارث لي». لكن في الرُّؤيا موضوع التَّأمُّل لم يكُن قلقًا من جهة الوارث ولكن من جهة الميراث. اسمعه وهو يطلب من الرَّب ضمانات ميراث الأرض ويسأل «بماذا أعلم أنِّي أرثها؟).

وصدقًا تعجَّبت من أمرين:

الأول، مِمَّن يا ترى سيرث أبرام الأرض؟ بالطَّبع ليس من تارح أبيه، فتارح أبيه لم يملك الأرض حتى يوِّرثها لأبرام. لكنه سيرث الأرض من مالك الأرض كلها، من الله الذي قال عنه الكتاب للرَّب الأرض.

الثاني، ما هي العلاقة بين إجابة الرَّب،»خُذ لي عِجلة وعَنزة وكَبش...» إلى آخِر هذه الرُّؤيا، وسؤال أبرام، «بماذا أعلم أنِّي ارثها؟».

سأقوم عزيزي القارئ بتوضيح العلاقة بين سؤال أبرام وجواب الرَّب من خلال حوار تخيُّلي بين الرَّب وأبرام مبني على نصوص الكتاب، من خلاله سأكشف لك عظمة الوحي المقدَّس ووحدة موضوعه ودقَّة كاتبه.

COPYRIGHTED

- أبرام (سائلًا الرَّب): بماذا أعلم أني أرثها؟

- الـرَّب: حيـث أنَّ الأمـر يتعلَّـق بالميراث يـا أبـرام يـا حبيبـي فهناك شرط لابـد مـن أن يتحقَّـق لـكي تـرث. لأنَّـه حيـث توجـد وصيـة، يلـزم بيـان مـوت المـوصي (عبرانيـين ٩: ١٦). لـكي تنـال وعـد الميراث لابـد أن يصـير مـوت لفـداء التعديَّـات (عبرانيـين ٩: ١٥).

- أبـرام فتـح فـاه واندهـش، وبـدأ يتمتِـم متعجِّبًـا: مـوت!!.. كيـف؟؟ مَـنْ الـذي سـيموت؟؟ وكيـف يمـوت؟؟ يـارب لـك وحـدك عـدم المـوت. كيـف سـيحدث هـذا؟؟ فهِّمنـي

- الرَّب: أنا يا أبرام، أنا هو مَنْ سيموت

- أبرام: كيف يا رب؟ أرجوك فهِّمني

- الـرَّب: أنـا في مـلء الزَّمـان سـوف أظهـر في صـورة إنسـان أي سـوف أتجسـد (اليمامـة والحمامـة سـتتَّحد إتِّحـادًا عجيبًـا بالعِجلـة والعَنـزة والكَبـش)

- أبـرام: كيـف سـتتحد الحمامـة بالكَبـش وكيـف سـتتحد اليمامـة بالعِجلـة؟ مـا علاقـة الحمامـة بالكبـش، ومـا علاقـة اليمامـة بالعجلـة؟

- الـرَّب: لا تسـأل كيـف يـا أبـرام، أنـا الـرَّب والـرب لا يُسـأل كيـف. التَّجسُّـد ده سِر (عظيـمٌ هـو سِر التَّقـوى اللـه ظهـر في الجسـد) بـس أنـا كشـفته ليـك بصـورة رمزيَّـة باهتـة. وعندمـا سأتجسـد سـيصلح أن أمـوت لـكي أحقَّـق الـشَّرط (مـوت المـوصي، مـوت لفـداء التعديَّـات)

COPYRIGHTED

- أبـرام: وهـل لا توجـد طريقـة أخـرى يـا رب؟ أعـمال صالحـة أو تصـوُّف أو فلسـفة أو رهبنـة أو أي حـل أخـر؟

- الـرَّب: لا يوجـد حـل أخـر أو وسـيلة أخـرى البتَّـة يـا حبيبـي. لابـد أن أمـوت يـا أبـرام لأن الوصيَّـة ثابتـة عـلى المـوتى ولا قـوة لهـا البتَّـة مـادام المـوصي حيًـا (عبرانيـين ٩: ١٧). هـل فهمـت الأن لمـاذا كان لابـد أن تشُـق العِجلـة والعَنـزة والكَبـش؟ هـل فهمـت لمـاذا مِصبـاح النَّـار وتنُّـور الدُّخـان كان لابـد أن يجتـاز بـين قِطَـع الذَّبيحـة؟

- أبرام: وهل مطلوب مني أي شيء في هذه القصة يا رب؟

- الـرَّب (مبتسـمًا): الإنسـان ليـس عليـه فِعـل أي شيء لـكي يـرث يـا أبـرام يـا حبيبـي. غـداً سـتصبح أب وتفهـم هـذه الحقيقـة عمليًـا. ابنـك ليـس عليـه فِعـل أي شيء لـكي يرثـك. لكـن عليـك فِعـل شيء واحـد لا لـكي تـرث لكـن لأنـك تحبنـي

- أبرام: اؤمرني يا رب

- الـرَّب: ازجـر الجـوارح مـن عـلى الذَّبيحـة. وأنـا أعـدك أني في الصَّليـب سـوف أجـرد هـذه الجـوارح كلَّهـا

- أبرام: حاضر يا رب، وكان أبرام يزجرها.

عزيـزي القـارئ، إن هـذه الرُّؤيـا العظيمـة العميقـة التـي رآهـا أبـرام هـي (بيـان مـوت المـوصي) مكتوبًـا بالحـبر السِّري بلغـة مشـفَّرة بديعـة، فـك العهـد الجديـد بنـوره رمـوزه وكشـف الكنـز المخفـي بـين سـطوره.

COPYRIGHTED

إنَّـه المسـيح، إنَّـه الصَّليـب، الـذي يعطـي معنـى لـكل مـا يبـدو ظاهريًـا بـلا معنـى.

ثقتـي العميقـة أن كنـوز هـذه الرُّؤيـا لم تنتـهِ، صـلاتي أن يعطينـي الـرَّب ويعطيـك المزيـد مـن الإسـتنارة لنـدرك المزيـد مـن أعماقهـا وأبعادهـا فنشـبع ونُبنـى.

COPYRIGHTED

الجزء الثامن

(سارة نفسها أخذت قدرة على إنشاء نسل)

(شاعرًا في نفسه بالقوَّة التي خرجت منه)

خرج إبراهيم وسارة من أور الكلدانيين وكان عمر كل منهما خمس وسبعون، وخمس وستُّون على التَّوالي، وبفرض أن سارة انقطع ان يكون لها عادة كالنِّساء في سن الخامسة والسَّبعين أي بعد عشر سنوات مثلًا من خروجهما، وعليه أدعوك أن تعيش معي ومع أبرام وسارة هذا الحوار التخيُّلي:

- أبرام: سارة، إيه الأخبار الشهر ده؟

COPYRIGHTED

- سارة: عادي يا أبرام مفيش جديد.

- أبرام (بعد شهر): سارة، إيه الأخبار الشهر ده؟

- سارة: عادي يا أبرام مافيش جديد، زي كل شهر

وتكرَّر الحوار كما هو لسنوات طويلة حتَّى أن سارة قالت لأبرام: بُص يا حبيبي، لما يكون في جديد أنا سوف أقول لك وأفرَّحك، لا تتعب نفسك كل شهر وتسأل كي لا تُحبَط

ومرت السَّنوات تلو السَّنوات، بفرض أنها عشر سنوات فقط حتى انقطع أن يكون لها عادة كالنساء، فهذا يعني ١٢ شهر x ١٠سنوات = ١٢٠ مرَّة.

كان الرَّد هوَّ هوَّ، والنتيجة هيَّ هيَّ، والإحباط يتزايد كل شهر بعد الأخر، وعامًا بعد الأخر، حتَّى أن جمود الموقف كاد أن يُميت الأمل.

حتى جاءت سارة في يوم من الأيَّام تقفز فَرِحة وتصرخ بصوت عالٍ وهي تنادي: أبرام أبرام، ساعة ربِّنا خلاص اتحرَّكت وجِه وقته، الرَّب قام وشمَّر عن ذراعيه، الرَّب جاي بعجائب وعلامات، الفرحة قرَّبت قوي يا حبيبي (بينَّا وبينها ٩ شهور بس)، هذا الشَّهر لم تأتني العادة الشهريَّة.

فرح أبرام فرحة كبيرة وأخبر البيت وبدأوا يجهزون أنفسهم لاستقبال المولود الجديد وتحقيق المواعيد. وملأوا البيت ترنيمات

COPYRIGHTED

(واقع تاني .. جمال بدل الرَّماد .. أنت صالح للكل .. أنت عظيم يا الله) وهكذا.

وبعد حوالي خمسة أشهر قال أبرام لسارة: يبدو أن هذا البيبي صغيرَّ قوي يا سارة لأن بطنك لم تكبر نهائي، ضحكت سارة وقالت له: صغيرَّ صغيرَّ يا أبرام، أليس هذا أفضل من عدمه، إحنا كُنَّا لاقيين أي حاجة؟!

مرِّت الشُّهور وكمِّلت سارة تسعة أشهر ولم يأتِ وجع الولادة وهنا كانت الصَّدمة، اكتشفا أن العادة لم تأتيها ليس لأنَّها حبلت بل لأنَّها بلغت سن اليأس. وانقلب الأمل إلى يأس. والفرح إلى دموع. والضَّحك إلى جروح. يا فرحة ما تمِّت. وبدلاً من أن كانا يعيشان على أمل كل شهر أصبحا يعيشان بلا أمل. ودخل الإيمان في نفق أخر أكثر عُمقًا وأكثر ظلامًا.

لكن، وإبراهيم في سن المئة وسارة في التسعينيات الرَّب بحق وحقيقي وليس تهيُّؤات وأوهام من أتعبهم الإنتظار، جاء وقال لإبراهيم :»في مثل هذا الوقت من السَّنة الآتية يكون لسارة ابن».

واتعجب! لماذا حدد الرَّب الموعد بالدقة هكذا (في مثل هذا الوقت)؟ أقول لأن هذه حالة حَبَل عجيبة، فيها ستحبل امرأة انقطع أن يكون لها عادة كالنِّساء، فلن يستطيعا معرفة وقت الحَبَل أو حتَّى حساب المُدَّة -لأنها بالفعل انقطع ان يكون لها عادة كالنِّساء دون أن تحبل- ولهذا حدَّد الرَّب الوقت بالقول (في مثل هذا الوقت السَّنة الآتية).

COPYRIGHTED

وتحقق وعد الرَّب وأتت الضِّحكة الحقيقيَّة إسحاق وليس الضِّحكة الافتراضيَّة الوهميَّة المزيَّفة. حبلت من قالت عن نفسها: «أبَعد فنائي يكون لي تنعُّم!».

لكن السُّؤال وقصد المقال، هل الحياة مع الله ضحكة كل خمس وعشرين سنة؟ من استطاع أن يفتح رحم سارة بعد أن مات، لماذا لم يفتحه قبل أن يموت؟

وللإجابة، أقول بفرض إنَّه قد حدث بالفعل ما تتمنَّاه عزيزي. وبالفعل بعد خمس سنوات مثلًا من خروجهما من أور الكلدانيين وقبل أن تنقطع عادة سارة، رزقهم الله بطفل. سيكون إبراهيم وسارة هما بطلا المشهد (سَبع البرُمبة وزوجته مدام خُصوبة وإثمار)، وعيال بتجري يمين وشمال. ولن يكون لله أي وجود في هذا المشهد في نظرهما.

أخي العزيز أريدك أن تدرك هذه الحقيقة المهمَّة جدًا، الله وضع قوانين الطبيعة والبيولوجيا والفيزياء وغيرها من القوانين لكي يظهر ذاته عندما يتجاوز ويتخطَّى حدود هذه القوانين ليس كسرًا بل قدرة وحقًا لأنَّه واضعها. الله إذا فعل الطَّبيعي لن تظهر ذاته بوضوح فالانسان يستطيع أن يفعل الطَّبيعي. الله وضع قوانين الطَّفو لكي يبرهن أنَّه الله حينما يمشي على الماء. الله وضع قوانين الجاذبيَّة لكي يبرهن أنَّه الله عندما يصعد إلى السَّماء وتفصله سحابة عن أعينهم. الله وضع قوانين التَّناسل والعادة الشهريَّة لكي يبرهن أنَّه الله عندما يعطي سارة ابنًا بعدما ينقطع أن يكون لها عادة

COPYRIGHTED

كالنِّساء. وإن كان هذا السن بالنِّسبة للبشر سن يأس وموت فهو بالنسبة لله سن أمل وحياة.

أخذت قدرة، إنها ليست قدرتها الذاتيَّة، فقد قالت عن نفسها: «أبعد فنائي؟» أي لم يعُد فيها قدرة ولكنها قدرة مأخوذة. مِمَّن أخذت هذه القدرة يا ترى؟

من هذا الشَّخص العظيم الذي قال يومًا لإبراهيم: «أنا الله القدير» من هذا الشَّخص العظيم الذي لمسته المرأة نازفة الدم، ويقول الكتاب: «فللوقت التفت يسوع بين الجمع، شاعرًا في نفسه بالقوَّة التي خرجت منه».

لم يكن كل من إبراهيم وسارة على دراية كاملة وإدراك كامل لما يدور في عقل الله وما هو الهدف الذي ينبغي تحقيقه من الانتظار. كانا ينتظران شهرًا تلو الآخر أن يفتح الله رَحِم سارة في الوقت الذي كان فيه الله ينتظر شهرًا تلو الاخر أن يموت رَحِم سارة.

كان الله لا يريد فتح رَحِمها فقط بل أن يفتح أعينهما أيضًا. يفتح أعينهما على الله القدير. الله الذي يحيي الموت. الله الذي هو فوق الطَّبيعة وقوانينها والبيولوجيا وقوانينها. كان يريد أن يقول لهما أنه ليس في قواميسه ما يسمَّى سن اليأس.

صديقي، حتَّى تنسجم أفكارك وتستريح وتجد إجابة شافية لماذا انتظر الله خمس وعشرين سنة لكي يفتح رَحِم سارة؟ أقول بالطبع لم يكن الله يحتاج إلى خمس وعشرين سنة لكي يفتح

COPYRIGHTED

رَحِم سارة، لكنه كان يحتاج إلى هذه المدَّة لكي يُميت رَحِم سارة أولًا قبل أن يفتحه.

ويا له من درس الحياة، إن ما يستغرق الوقت الطويل جدًا قبل تحقيق الوعود الالهيَّة العظيمة هو عمليَّة إماتتنا. عمليَّة التخلص من حكمتنا البشريَّة الجاهلة، التخلُّص من قدراتنا وذكائنا وفهمنا وأفكارنا وخططنا وتدابيرنا وعنادنا وصلابتنا. هذا الصِّراع العنيف لخَتن القلب العنيد هو ما يستغرق الوقت الطويل.

يا رب علِّمنا وفهِّمنا وشكِّلنا وافتح العَينين قبل الأرحام والأبواب.

COPYRIGHTED

الجزء التاسع

صفرٌ كبيرٌ

لي ولكل أخوتي ممَّن لديهم رغبة واهتمام أن يقدِّموا لله خدمة حقيقية في هذه الأيَّام، أُذكِّرهم وأُذكِّر نفسي بهذه الفكرة الجوهريَّة حتَّى لا نتعب هَباءً.

قال الرَّب لأبرام: «خُذِ ابْنَكَ وَحِيدَكَ الَّذِي تُحِبُّهُ إِسْحَاقَ وَاذْهَبْ إِلَى أَرْضِ الْمُرِيَّا وَأَصْعِدْهُ هُنَاكَ مُحْرَقَةً عَلَى أَحَدِ الْجِبَالِ الَّذِي أَقُولُ لَكَ» (تكوين ٢٢: ٢). لست مشغولًا بالمعنى الرَّمزي، لكن بالمعنى الحرفي للنَّص. الله هنا يرى أن إبراهيم لديه ابن وحيد، وعليه فالسُّؤال الواجب الإجابة الآن: من يكون إسماعيل إذًا

COPYRIGHTED

في نظـر اللـه؟

للإجابـة عـن هـذا السُّـؤال، سـوف أسرِد بعـض النُّصـوص مـن (تكويـن ٢١).

عندمـا قَبُـح في عَينَـي إبراهيـم كلام زوجتـه سـارة «اطْـرُدْ هَـذِهِ الْجَارِيَـةَ وَابْنَهَـا لأَنَّ ابْـنَ هَـذِهِ الْجَارِيَـةِ لاَ يَـرِثُ مَـعَ ابْنِـي إِسْـحَاقَ» (تكويـن ٢١: ١٠)، قـال لـه الـرَّب هـذه الكلمات: «لاَ يَقْبُـحُ فِي عَيْنَيْـكَ مِـنْ أَجْـلِ الْغُـلاَمِ وَمِـنْ أَجْـلِ جَارِيَتِـكَ. فِي كُلِّ مَـا تَقُـولُ لَـكَ سَـارَةُ اسْـمَعْ لِقَوْلِهَـا لأَنَّـهُ بِإِسْـحَاقَ يُدْعَـى لَـكَ نَسْـلٌ. ١٣وَابْـنُ الْجَارِيَـةِ أَيْضـاً سَـأَجْعَلُهُ أُمَّـةً لأَنَّـهُ نَسْـلُكَ» (تكويـن ٢١: ١٢-١٣).

هـل لاحظـت عزيـزي الكلمـات التـي اسـتخدمها اللـه للإشـارة إلى إسـماعيل (الغُـلام) وأيضًـا (ابـن الجاريـة)، لكنـه لم يقُـل لإبراهيـم أن إسـماعيل ابنـك كـما قـال لـه عـن إسـحاق.

وعليـه، فالسُّـؤال الثـاني الواجـب الإجابـة الآن. كيـف يكـون إسـماعيل في نظـر اللـه ليـس ابنًـا لإبراهيـم مـع أنَّـه في ذات الوقـت يقـول عنـه لإبراهيـم (إنـه نسـلك)؟ كيـف يكـون نسـله دون أن يكـون ابنـه؟

وهنـا مقصـد المقـال، إن البنـوَّة كلمـة في جوهرهـا كبـيرة جـدًا وعظيمـة جـدًا وواسـعة جـدًا، وسـببها في الأصـل ليـس قـدرة جسـديَّة أوغريـزة، ولكـن رغبـة روحيَّـة ومشسـيئة إلهيَّـة.

الابـن في نظـر اللـه هـو مـن جـاء مـن نسـل إبراهيـم بمشـيئة اللـه

COPYRIGHTED

وليس من جاء من نسل إبراهيم بقدرة الجسد. سوف أتركك يا إبراهيم أنت وسارة إلى أن تموت تماماً لكي أعلِّمك هذا الدَّرس.

سوف أُعَلِمُكَ إن المشيئة الإلهيَّة تستطيع أن تعطي قدرة جسدية لتتميم ما تريد (إسحاق بعد فناء القدرة)، لكن القدرة الجسديَّة مهما كانت لا تستطيع أن تحرِّك المشيئة الإلهيَّة كما تريد (إسماعيل مش محسوب ابنك الذي من الله).

في الحالة الأولى لا توجد قدرة جسديَّة لكن توجد مشيئة إلهيَّة، إذا سيكون هناك بنوَّة (إسحاق). في الحالة الثانية توجد قدرة جسديَّة لكن لا توجد مشيئة إلهيَّة، إذاً لن تكون هناك بنوَّة (إسماعيل).

اسمع يا عزيزي، هذا التَّعليم الغالي الذي أظهره العهد الجديد عندما قال في رسالة يعقوب عن أبناء الله الذين وُلِدوا من الله «شَاءَ فَوَلَدَنَا بِكَلِمَةِ الْحَقِّ لِكَيْ نَكُونَ بَاكُورَةً مِنْ خَلاَئِقِهِ.» (يعقوب ١: ١٨). إنها ولادة روحيَّة ليس فيها أي تناسُل جسدي بها جُعلنا أبناء الله، والسِّر في الكلمة العظيمة (شاء). نحن الآن أبناء الله، ليس لأي مجهود جسدي بذلناه أو أعمال صالحة فعلناها، ولكن فقط لأن الله له كل المجد شاء.

يا لعُمق وغنى المعنى ويا له من درس للزَّمان! على الأقل أربعة عشرة عامًا منذ أن وُلِد إسماعيل وأبرام في السَّادسة والثَّمانين من العمر حتَّى وُلِد إسحاق وهو في سن المئة وإبراهيم يزرع بالجسد وللجسد. عمَّال يصرِف ويربِّي ويكبَّر ويعلِّم ويتعب

COPYRIGHTED

والنَّتيجة (صِفر كبير) لأن إبراهيم في نظر الله ليس لديه إلا ابن وحيد اسمه إسحاق.

وللتطبيق أقول: كم من أعمال ستحترق بالنَّار، وكم من خدمات وعِظات ستحترق بالنَّار، وكم من ترنيمات وسيديهات ستحترق بالنَّار، وكم من لِجان وتنظيمات ستحترق بالنَّار، وكم من بوستات وفيديوهات ستحترق بالنَّار، وكم من كتب ومجلات ستحترق بالنَّار، وكم من خدمات روحيَّة عظيمة في نظر النَّاس (أُمَّة عظيمة) وهي لا تعدو أكثر من (صِفر كبير) في نظر الله ولا وجود لها.

الأعمال الوحيدة التي ستبقى أمام كرسي المسيح، هي تلك الأعمال التي فعلناها طاعة لمشيئة الله ولمجده «خُذِ ابْنَكَ وَحِيدَكَ الَّذِي تُحِبُّهُ إِسْحَاقَ».